

## قرية صفّا من النكبة إلى النكسة في الذاكرة الشعبية (دراسة تاريخية واثنوغرافية)

### Saffa Village from the Nakba to the Naksa in the Popular Memory (A Historical and Ethnographic Study)

إعداد: الأستاذ الدكتور/ صلاح حسين الهودلية

أستاذ الآثار والتراث الثقافي، مدير المعهد العالي للآثار، جامعة القدس، فلسطين

Email: [shoudalieh@staff.alquds.edu](mailto:shoudalieh@staff.alquds.edu)

الأستاذ/ محمد حسين ناصر

وزارة التربية والتعليم، فلسطين

Email: [mohammad.nasser12366@gmail.com](mailto:mohammad.nasser12366@gmail.com)

الأستاذ/ محمد إبراهيم ناصر

سياسي متقاعد، فلسطين

Email: [karajesht@gmail.com](mailto:karajesht@gmail.com)

#### المخلص:

يتناول هذا البحث السردية التاريخية للأحداث التي شهدتها قرية صفّا خلال الفترة الممتدة بين عامي 1948م و1967م، وهي مرحلة اتسمت بتحويلات سياسية وعسكرية واجتماعية عميقة تركت آثارًا مباشرة في البنية المحلية للقرية وسكانها. وتركز الدراسة بصورة رئيسة على معركة كُريستة/ كريكور/ وادي الملاقي التي دارت بين الجيش الأردني والمتطوعين الفلسطينيين من جهة، وكتيبة (ب) التابعة للواء يفتاح من جهة أخرى، في المنطقة المعروفة محليًا باسم كُريستة. كما تتناول الدراسة موجات النزوح التي شهدتها القرية خلال هذه المرحلة، وما أعقبها من قيام السكان، بعد عودتهم، بابتكار منظومة دفاعية محلية تمثلت في حفر الخنادق، وبناء الاستحكامات، وتنظيم الحراسة الليلية التي استمرت حتى عام 1967م، إضافة إلى توثيق حالة النزوح التي رافقت اندلاع حرب حزيران/يونيو 1967م. ويهدف هذا البحث إلى توثيق مرحلة زمنية قصيرة نسبيًا من تاريخ قرية صفّا يمتد حضورها التاريخي لأكثر من ألفي عام، وذلك بالاستناد إلى ما توفر من مصادر مكتوبة، وإلى الرواية الشفوية التي ما تزال حاضرة بقوة في الذاكرة الجمعية لكبار العُمر من سكان القرية. ومن خلال الجمع بين الشهادات الشفوية والمصادر التاريخية المتاحة، سعت الدراسة إلى إعادة بناء المشهد المحلي للأحداث وتحليل انعكاساتها الاجتماعية والأمنية على المجتمع القروي. وقد خلصت الدراسة إلى الأهمية البالغة للرواية الشفوية بوصفها مصدرًا أساسيًا في كتابة التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر، خاصة في ظل محدودية التوثيق المكتوب لبعض الوقائع المحلية. كما أظهرت النتائج أن سكان قرية صفّا تعرضوا للنزوح عن بيوتهم وممتلكاتهم ثلاث مرات خلال فترة لم تتجاوز تسعة عشر عامًا، الأمر الذي يعكس حجم التحويلات القسرية التي فرضتها الصراعات السياسية والعسكرية على المجتمعات الريفية الفلسطينية خلال تلك الحقبة الزمنية.

**الكلمات المفتاحية:** قرية صفّا، النكبة، النكسة، معركة كُريستة، الخنادق الدفاعية، الرواية الشفوية، الجيش الأردني.

## Saffa Village from the Nakba to the Naksa in the Popular Memory (A Historical and Ethnographic Study)

**Prof. Salah Hussein Al-Houdalieh,**

Professor of Archaeology and Cultural Heritage, Al-Quds University, Palestine

Orcid No: <https://orcid.org/0000-0002-6468-9105>

**Mr. Mohammad Hussein Nasser**

Palestinian Ministry of Education.

Orcid No.: <https://orcid.org/0009-0009-6050-8651>

**Mr. Mohammad Ibrahim Nasser**

Palestine, Retired politician.

### **Abstract:**

This research examines the historical narrative of events in the village of Saffa between 1948 and 1967, a period marked by profound political, military, and social transformations that directly affected the village's local structure and its inhabitants. The study focuses mainly on the Battle of Krisanna/Kureikur/Wadi al-Malaqi, which pitted the Jordanian army and Palestinian volunteers against Battalion (B) of the Yiftach Brigade in the area known locally as Krisanna. The study also examines the waves of displacement the village experienced during this period and the subsequent development of a local defense system by the residents upon their return. This system involved digging trenches, building fortifications, and organizing a night watch, which continued until 1967. The study also documents the displacement that accompanied the outbreak of the June 1967 war. This research aims to document a relatively short period in the history of a village whose presence spans more than two thousand years, drawing on available written sources and oral traditions that remain strongly present in the collective memory of the village's elders. By combining oral testimonies with available historical sources, the study seeks to reconstruct the local context of events and analyze their social and security repercussions on the village community. The study concludes that oral history is of paramount importance as a primary source for writing modern and contemporary Palestinian history, especially given the limited written documentation of some local events. The findings also reveal that the residents of Saffa village were displaced from their homes and properties three times within a period of just nineteen years, reflecting the scale of the forced transformations imposed on Palestinian rural communities by political and military conflicts during that era.

**Keywords:** Saffa village, Nakba, Naksa, Battle of Kresinna, defensive trenches, oral history, Jordanian army.

## 1. المقدمة:

استند المشروع الصهيوني الاستيطاني الكولونيالي في تأسيس دولة إسرائيل على أرض فلسطين إلى منظومة من السياسات والممارسات التي تمثلت في استخدام القوة العسكرية، والتدمير المنهج، والتهجير القسري للسكان الفلسطينيين، والاستحواذ على الأرض والموارد، وذلك بهدف إحداث تحولات ديموغرافية وجغرافية تُمكن من إنشاء كيان سياسي جديد على حساب الوجود الفلسطيني التاريخي. وقد مثلت أحداث النكبة عام 1948م إحدى أبرز المحطات المفصلية في مسار هذا المشروع، إذ شهدت تلك المرحلة عمليات واسعة النطاق استهدفت البنية الاجتماعية والعمرائية الفلسطينية، وأسفرت عن تدمير أكثر من 420 قرية وبلدة فلسطينية، إلى جانب تهجير ما يقارب 750,000 فلسطيني من مناطق سكنهم الأصلية، في إطار إعادة تشكيل الحيز المكاني والسكاني بما ينسجم مع الأهداف السياسية والاستراتيجية للمشروع الصهيوني (الخالدي، 1998). ولم تقتصر تداعيات النكبة على نتائجها المباشرة المرتبطة بفقدان الأرض والنزوح القسري، بل امتدت آثارها لتشكل حالة تاريخية وسياسية مستمرة، الأمر الذي جعل من النكبة حدثاً مستمراً تتجاوز آثاره حدود اللحظة التاريخية التي وقع فيها إلى واقع متجدد ما زالت انعكاساته قائمة حتى اليوم.

مع اقتراب نهاية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، وفي أعقاب صدور قرار التقسيم الصادر في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، دخلت الساحة الفلسطينية مرحلة من التصعيد العسكري المنظم الذي قادته الحركة الصهيونية، مستهدفة السيطرة على القرى والمدن الفلسطينية عبر سلسلة من المعارك التي امتدت على مدى عدة أشهر. وقد تزامن ذلك مع تشكل جبهة دفاعية ضمت "جيش الجهاد المقدس" إلى جانب متطوعين من دول عربية عدة، من بينها الأردن ومصر وسوريا والعراق، حيث أبدت هذه التشكيلات العسكرية في المراحل الأولى من المواجهات قدرة نسبية على الصمود وتحقيق نتائج ميدانية، رغم التفوق الواضح في التسليح والتنظيم لدى العصابات الصهيونية. ومع تطور الأحداث، انضمت قوات "جيش الإنقاذ" إلى ساحة المعارك في محاولة لتعزيز القدرات العسكرية العربية، قبل أن تدخل وحدات نظامية من جيوش دول عربية عدة، شملت الجيش الأردني والمصري والعراقي والسوري واللبناني والسعودي، وذلك في منتصف أيار/مايو 1948، في إطار ما عُرف بحرب 1948م. إلا أن مسار العمليات العسكرية شهد في نهاية نيسان وبداية أيار من العام نفسه تحولات استراتيجية حاسمة، أسفرت عن هزيمة الجيوش العربية أمام تفوق التنظيم والتسليح لدى العصابات الصهيونية، ما مكّنها من السيطرة على أجزاء واسعة من الجغرافيا الفلسطينية ضمن حدود فلسطين الانتدابية. وقد رافق هذه المرحلة وقوع عدد كبير من الضحايا يُقدَّر بنحو 16,703 شخصاً من الفلسطينيين والمقاتلين العرب ومنتسبي الجيوش العربية المشاركة (جزّار، 2008).

حظيت العديد من المعارك التي دارت رحاها على أرض فلسطين بتوثيق تاريخي، ومن أبرزها معارك القطمون، والشيخ جراح، وباب الخليل، وحي النبي داود، وكفار عسيون، وبيت سوريك، وصوريف، وشعفاط، والقسطل، والدهيشة. ومع ذلك، يلاحظ أن بعض المعارك الأخرى، ومنها معركة كُريسة، رغم ما تحمله من أهمية من حيث النتائج العسكرية والسياق الميداني، لم تحظَ بالاهتمام الكافي في السردية التاريخية أو الذاكرة الجمعية.

لم تكن حرب عام 1967م، التي تُعرف في الأدبيات الفلسطينية والعربية باسم "النكسة" وفي الأدبيات الإسرائيلية باسم "حرب الأيام الستة"، حدثاً منفصلاً أو وليد لحظة سياسية مفاجئة، بل جاءت بوصفها نتاجاً لتراكمات سياسية وعسكرية وإقليمية تعود جذورها إلى مرحلة ما بعد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م. فمنذ تلك المرحلة بقيت منطقة الشرق الأوسط تشهد حالة مستمرة من التوتر وعدم الاستقرار، نتيجة تصاعد التنافس الإقليمي والدولي وتزايد الاستقطاب السياسي والعسكري. كما شهدت تلك الفترة تنامياً ملحوظاً في مستويات الدعم السياسي والعسكري الأمريكي لإسرائيل، ولا سيما خلال فترة إدارة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون (1963-1969)، الأمر الذي أسهم في تعزيز القدرات العسكرية الإسرائيلية وتوسيع هامش تحركها الاستراتيجي في المنطقة.

وقد اندلعت الحرب رسمياً في الخامس من حزيران/يونيو 1967م، عندما شن الجيش الإسرائيلي هجوماً جويًا واسع النطاق ومفاجئاً ضد مصر، استهدف بصورة رئيسة البنية التحتية العسكرية، بما في ذلك مدرجات المطارات، والطائرات الحربية، والقاذفات بعيدة المدى، ومنشآت الدعم والإسناد اللوجستي، الأمر الذي أدى إلى إضعاف القدرات القتالية المصرية بصورة كبيرة في المراحل الأولى من الحرب (محمد، 2022: 739-750).

وتزامن ذلك مع تنفيذ عمليات عسكرية جوية ضد المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية، إلى جانب عمليات برية وجوية استهدفت بقية الجغرافيا الفلسطينية، ضمن خطة عسكرية هدفت إلى تحقيق سيطرة سريعة وحاسمة على جبهات القتال المختلفة. وقد أفضت هذه العمليات العسكرية إلى تغييرات جيوسياسية واسعة النطاق في المنطقة، تمثلت في احتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية؛ الأمر الذي أسفر عن إعادة تشكيل الخريطة السياسية والجغرافية للصراع العربي الإسرائيلي، وأوجد واقعاً جديداً امتدت آثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتؤثر بصورة عميقة في مسار القضية الفلسطينية والتفاعلات الإقليمية اللاحقة (Mohammad and Bali, 2017: 92).

ارتبطت توظيف منهج المقابلات الشخصية في توثيق الرواية الشفوية في الفضاء الفلسطيني، خصوصاً في أعقاب نكبة عام 1948م، بمحاولة تسجيل التجربة الفلسطينية المرتبطة بالتهجير القسري والتشريد، وما رافق ذلك من أعمال قتل، وتطهير عرقي، وتدمير للنسيج المعماري، والاستيلاء على الممتلكات، وطمس المعالم المادية والثقافية.

كما امتد هذا التوثيق ليشمل أنماط الحياة الاجتماعية ومنظومة العادات والتقاليد التي كانت سائدة في القرى والبلدات والمدن الفلسطينية التي تعرضت للتهجير. وقد انطلق هذا التوجه من إدراك أهمية الرواية الشفوية في إعادة بناء المشهد التاريخي والاجتماعي لفترة مفصلية في التاريخ الفلسطيني، بما يسهم في حفظ الذاكرة الجمعية وصونها، واستخدامها بوصفها أداة مقاومة ثقافية وآلية لإنتاج سردية فلسطينية مضادة للروايات الإقصائية أو الانتقائية. وفي هذا السياق، اكتسبت الرواية الشفوية التاريخية مكانة بارزة بوصفها أحد أهم مصادر كتابة التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر، لا سيما في ظل محدودية الوثائق المحلية المكتوبة أو غيابها في كثير من الحالات، إلى جانب هيمنة الرواية الإسرائيلية على جزء كبير من الأرشيفات والسرديات المتعلقة بالأحداث التاريخية (عبد الجواد، 2005؛ يزبك، 2016).

ومن ثم، شكّلت الشهادات الشفوية مصدرًا بديلاً أو مُكملاً لإعادة قراءة الأحداث من منظور أبناء المجتمع الفلسطيني وتجاربهم المباشرة، مع ما تحمله هذه الشهادات من أبعاد إنسانية، واجتماعية، وثقافية يصعب الحصول عليها من الوثائق الرسمية التقليدية. وقد تتوّعت أساليب نشر الرواية الشفوية التاريخية باللغة العربية، خاصة تلك المتعلقة بالتاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر؛ إذ نُشرت بعض الأعمال باللغة العربية الفصحى ضمن إطار أكاديمي أو توثيقي، بينما حافظت أعمال أخرى على اللهجة العامية المحلية، بوصفها جزءاً من أصالة الشهادة وخصوصيتها الثقافية والاجتماعية (أبو شبكية، 2010).

ويعكس هذا التباين اختلاف المقاربات المنهجية في التعامل مع الرواية الشفوية بين من يركّز على البعد التوثيقي الأكاديمي، ومن يمنح الأولوية للحفاظ على البنية اللغوية الأصلية للشهادة باعتبارها مكوناً من مكونات الذاكرة والهوية المحلية. وفي سياق نقد الاعتماد على الرواية الشفوية التاريخية، أشار ابن خلدون إلى ما قد يعترى الأخبار المنقولة شفهيًا من مخاطر منهجية إذا لم تُخضع للتحليل والمقارنة والنقد، حيث ذكر: "لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكّم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران في الاجتماع السياسي ... وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سمياً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة" (ابن خلدون، 2001: 13). وفي الإطار ذاته، ذهب عدد من المؤرخين الكلاسيكيين، ولا سيما المنتمين إلى المدرسة الوضعية في القرن التاسع عشر الميلادي،

إلى التشكيك في كفاية الرواية الشفوية بوصفها مصدرًا مستقلًا لإعادة بناء الأحداث التاريخية، معتبرين أن الوثيقة المكتوبة أكثر موثوقية من الناحية المنهجية. وقد استند هذا الموقف إلى افتراض أن الذاكرة الإنسانية عرضة للنسيان أو التحريف أو التأثير بالعوامل النفسية والاجتماعية مع التقدم في العمر، الأمر الذي قد ينعكس على دقة الرواية المنقولة شفهيًا (أبو شبكية، 2010؛ نمر، 2007).

ومع ذلك، يرى عبد الجواد أن الرواية الشفوية تمثل مصدرًا تاريخيًا بالغ الأهمية، مؤكدًا أن بدايات التدوين التاريخي والمعرفي في الحضارات الإنسانية اعتمدت أساسًا على التواتر الشفوي قبل انتقاله إلى الصيغ المكتوبة. فقد أنتجت حضارات بلاد الرافدين، وبلاد الشام، ومصر، وفارس، واليونان، تراثًا واسعًا من الملاحم والأساطير والنصوص المعرفية التي انتقلت شفهيًا عبر أجيال متعاقبة قبل تدوينها على الرقم الطينية، والجلود، وورق البردي، أو نقشها على الحجر. ويورد في هذا السياق أمثلة بارزة، مثل ملحمتي الإلياذة والأوديسة، وملحمة جلجامش، وأسطورة بعل، ونصوص الموتى المصرية، والمعلقات العربية، والشاهنامه الفارسية، بوصفها نماذج تؤكد الدور المحوري للذاكرة الشفوية في حفظ التراث الإنساني ونقله. (عبد الجواد، 2005: 17).

تم اختيار قرية صفًا بوصفها موضوعًا لهذه الدراسة انطلاقًا من العلاقة المباشرة التي تربط الباحثين الثلاثة بالقرية، إذ وُلدوا ونشأوا فيها، ما أتاح لهم فرصة الإحاطة الجزئية بالمرويات الشفوية المرتبطة بتاريخ صفًا منذ عام النكبة (1948م) وحتى عام النكسة (1967م). وقد أسهم هذا القرب المكاني والاجتماعي في تسهيل الوصول إلى الرواة وبناء درجة من الثقة المتبادلة معهم، الأمر الذي انعكس إيجابًا على طبيعة البيانات الميدانية التي جُمعت خلال فترة الدراسة.

### 1.1 أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. دراسة التحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها قرية صفًا خلال الفترة الممتدة من نكبة 1948م إلى نكسة 1967م، وتحليل انعكاساتها في الذاكرة الشعبية لسكان القرية.
2. توثيق الأحداث السياسية والعسكرية التي حدثت في قرية صفًا بين عامي 1948م و1967م.
3. توثيق الروايات الشفوية والذكريات الفردية والجمعية المرتبطة بأحداث النكبة والنكسة في قرية صفًا.
4. إظهار دور الذاكرة الشعبية في حفظ التاريخ المحلي للقرية ونقله عبر الأجيال.
5. الإسهام في حفظ الرواية الشفوية لسكان قرية صفًا بوصفها جزءًا من التاريخ الفلسطيني.

### 2.1 أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تُسلط الضوء على قرية صفًا بوصفها نموذجًا للتجربة الفلسطينية المحلية خلال مرحلة مفصلية امتدت من النكبة عام 1948م إلى النكسة عام 1967م، وهي فترة شهدت تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة انعكست على حياة السكان. وتتجلى أهمية الدراسة في عدة جوانب، أهمها:

1. الإسهام في توثيق التاريخ المحلي الفلسطيني من خلال دراسة قرية صفًا التي عايشت التحولات الكبرى التي شهدتها فلسطين في التاريخ المعاصر.
2. حفظ الرواية الشفوية والذاكرة الشعبية لأهالي القرية، ولا سيما روايات الأجيال الذي عاصرت أحداث النكبة والنكسة، بما يسهم في صون التراث غير المادي من الاندثار.
3. تعزيز الدراسات الإثنوغرافية والتاريخية من خلال الربط بين المصادر التاريخية المكتوبة والروايات الشفوية والذاكرة الجمعية في دراسة واحدة.
4. توفير مادة علمية موثقة للباحثين والمهتمين بالتاريخ الاجتماعي الفلسطيني، والتاريخ الشفوي، والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

5. الإسهام في بناء أرشيف يحفظ تاريخ القرية وتجارب سكانها للأجيال القادمة، ويعزز الوعي بأهمية التاريخ المحلي في فهم التاريخ الوطني الفلسطيني.

### 3.1. منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج النوعي التاريخي، واعتمدت منهج التاريخ الشفوي، ومراجعة الأدبيات والمصادر ذات الصلة، ضمن إطار دراسة الحالة لقرية صفًا. وقد واجه الباحثون محدودية واضحة في المادة المكتوبة المتعلقة ببعض الأحداث التاريخية الخاصة بالقرية، في حين غابت المعلومات التوثيقية بشكل كامل عن أحداث أخرى، الأمر الذي عزز أهمية الاعتماد على الرواية الشفوية بوصفها مصدرًا أساسيًا لإعادة بناء الوقائع المحلية.

شملت الدراسة الميدانية إجراء مقابلات شخصية مع عينة مكونة من 34 مستجيبًا من كبار السن من قريتي صفًا وبيت عور التحتا، تراوحت أعمارهم بين 66 و102 عامًا، من بينهم 20 ذكرًا و14 أنثى. وقد اختيرت العينة بطريقة قصدية استندت إلى معرفة الباحثين المسبقة بالمستجيبين، وبما يتمتعون به من موثوقية ووضوح في الذاكرة ورجاحة العقل.

وهدفت هذه المقابلات إلى توثيق معركة كُريسة وتداعياتها خلال فترة النكبة وما أعقبها، إضافة إلى توثيق أحداث النكسة وانعكاساتها على المستوى المحلي في القرية. وأجريت المقابلات بصورة فردية داخل منازل المستجيبين خلال الفترة الممتدة من تشرين الثاني/نوفمبر 2025م حتى نيسان/أبريل 2026م، واستغرقت كل مقابلة ما بين ساعة وساعة ونصف.

وفي بداية كل مقابلة، أوضح الباحثون أهداف الدراسة وطبيعة استخدامها البحثي، كما جرى الحصول على موافقة المستجيبين على التوثيق الورقي والصوتي، مع التأكيد على احترام خصوصية التسجيلات الصوتية. وبدأت المقابلات مع مستجيب قرية صفًا بسؤال مفتوح وشامل تمحور حول معركة كُريسة، والخنادق والاستحكامات التي كانت تحيط بالقرية، وتجارب النزوح خلال عام النكسة، ثم تلت ذلك أسئلة استقصائية هدفت إلى تعميق السرد واستخلاص التفاصيل من خلال أسلوب حوار تفاعلي. أما المقابلات التي أجريت مع أفراد العينة من قرية بيت عور التحتا، فقد اقتصر على سؤال محدد يتعلق بأسماء أبناء قريتهم الذين استشهدوا في معركة كُريسة، وذلك انسجامًا مع طبيعة المعلومات المستهدفة من تلك المقابلات.

تم توثيق المقابلات ميدانيًا بصيغتها اللغوية الأصلية كما وردت على ألسنة الرواة باللهجة المحلية الدارجة، غير أن الشهادات المروية خضعت لاحقًا لعملية تحويل لغوي إلى العربية الفصحى عند إعداد النص النهائي للدراسة، وذلك نظرًا لاشتمال اللهجة المحلية على عدد كبير من المفردات التي قد يصعب فهمها خارج نطاق الجغرافيا الفلسطينية. ومع ذلك، أُبقيت إحدى الشهادات بصيغتها الأصلية، مع توضيح معاني بعض المفردات والتعبير المحلية باللغة الفصحى بين قوسين. ولم يكن المقصود من تحويل الشهادات من اللهجة المروية إلى اللغة الفصحى إخفاء المستوى الثقافي أو الاجتماعي للمستجيبين، أو إضفاء طابع أدبي على الروايات المنقولة، بل جاء ذلك في إطار السعي إلى تعزيز وضوح النص وإتاحته لقطاع أوسع من القراء والباحثين. كما ينسجم هذا الإجراء مع المتطلبات الأكاديمية للنشر العلمي، التي تستوجب تقديم المادة بلغة معيارية تُسهّل تداولها وتحليلها، مع الحرص في الوقت ذاته، على الحفاظ على روح الشهادة ومضمونها الأصلي وعدم الإخلال بطبيعة السرد الشفوي أو دلالاته.

### 4.1. منطقة الدراسة

تقع قرية صفًا ضمن سلسلة القرى الحدودية الغربية لمحافظة رام الله والبيرة، وتُعد إحدى القرى التي شكّلت تاريخيًا جزءًا من المجال الريفي الرابط بين منطقة رام الله والسهل الساحلي الفلسطيني. يحدّها من الجنوب قريتا بيت نوبا وبيت سيرا، ومن الشمال قريتا بلعين وخربتا بني حارث، وتبعد نحو 16 كم إلى الغرب من مدينة رام الله. وتشير نتائج المسوحات والحفريات الأثرية التي أجريت في القرية إلى أن بدايات الاستيطان البشري فيها تعود إلى الفترة الرومانية (63 ق.م – 324م)، مع استمرار الاستقرار السكاني فيها حتى

الوقت الحاضر. وتعكس البقايا الأثرية المنتشرة في القرية عمقها الحضاري وتعدد المراحل التاريخية التي مرت بها، إذ تضم معاصر زيتون تقليدية، ومعاصر نبيذ، ومقابر منحوتة في الصخر، وأساسات مباني قديمة، وآبار مياه تاريخية، وأرضيات فسيفسائية، وديرًا بيزنطيًا، إلى جانب عدد كبير من البيوت التقليدية التي ما تزال تشكّل جزءًا من المشهد المعماري المحلي (Al-Houdalieh, 2010: 178).

كما تكشف الوثائق العثمانية، ولا سيما سجلات المحكمة الشرعية، عن المكانة الإدارية التي تمتعت بها صفاً خلال أواخر الفترة العثمانية (1912م)، حيث شكّلت مركز ناحية تبّع لها 20 قرية موزعة في محيطها القريب والبعيد (سجل المحكمة الشرعية، ملف التجنيد العسكري، متطوعي الجهاد المقدس). ويعكس هذا الدور الإداري أهمية القرية بوصفها مركزًا محليًا للتنظيم الاجتماعي والسياسي، فضلًا عن دورها في إدارة العلاقات الريفية ضمن المجال الجغرافي المحيط بها.

بلغت المساحة الإجمالية التابعة لقرية صفاً خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين نحو 14 ألف دونم (يساوي الدونم الواحد 1000 م<sup>2</sup>)، غير أن هذه المساحة تعرّضت لتقلّصات متتالية نتيجة سياسات المصادرة المرتبطة بالتحويلات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة منذ منتصف القرن العشرين. ففي أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية صودر نحو 1000 دونم من أراضي القرية، ثم شهدت القرية أكبر موجات مصادرة أراضيها عام 2005م مع إنشاء جدار الفصل العنصري، الذي يمتد بمحاذاة الجزء الغربي منها باتجاه شمال – جنوب، حيث بلغت مساحة الأراضي المصادرة بسببه نحو 4300 دونم (Al-Houdalieh, 2010: 174). وقد ترتب على ذلك تغييرات عميقة في البنية المكانية والاقتصادية للقرية، تمثلت في عزل مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والحدّ من وصول السكان إليها.

وفي سياق السياسات الاستيطانية اللاحقة، صادرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي عام 2016م نحو 350 دونمًا من أراضي القرية الواقعة في جهتها الجنوبية، وبدأت في تموز/يوليو 2023م إجراءات التحضير لإنشاء منطقة صناعية على هذه الأراضي، في خطوة تعكس استمرار الضغوط المكانية المفروضة على المجال الريفي للقرية وتحويل استخدامات الأرض بما يخدم التوسع الاستيطاني والبنية الاقتصادية المرتبطة به. وتتميّز أراضي صفاً بأهمية أثرية وتاريخية بارزة، إذ تضم 22 موقعًا أثريًا تعود إلى فترات تاريخية مختلفة، أقدمها العصر البرونزي المتوسط (1550–2000 ق.م). غير أن 11 موقعًا من هذه المواقع قد أُدرجت ضمن الأراضي المصادرة وضُمّت فعليًا إلى نطاق سيطرة دولة الاحتلال (Al-Houdalieh, 2024: 20–23). ويكشف هذا الواقع عن تداخل البعدين السياسي والثقافي في قضية الأرض، حيث لم تقتصر آثار المصادرة على المجال الزراعي، بل امتدت لتشمل الموروث الأثري والهوية التاريخية المرتبطة بالمشهد الثقافي للقرية.

تنتشر بيوت قرية صفاً فوق سلسلة من الهضاب المتصلة التي تنسم بانحدارات متدرجة من الجهات الشمالية والجنوبية والغربية، في حين ما تزال النواة التاريخية للقرية، التي تُقدّر مساحتها بنحو 90 دونمًا (صورة 1)، تحتفظ بجزء من نسيجها العمراني التقليدي الذي يعكس الخصائص المعمارية الريفية السائدة في المنطقة. ويتراوح الارتفاع الطبوغرافي للقرية بين نحو 325 مترًا فوق مستوى سطح البحر في جزئها الغربي، وحوالي 370 مترًا في جزئها الشرقي. وينتمي سكان القرية إلى ثلاث مجموعات عشائرية رئيسية، هي: عشيرة قراجا، وعشيرة الفلنة، وعائلات اللاجئين الذين استقروا في القرية بعد حرب عام 1948م. وتتفرع عشيرة قراجا إلى أربع حمائل رئيسية، هي: ناصر، ونصر، ومنصور، والشيخ أحمد. أما عشيرة الفلنة، فتتكون من عدد من العائلات التي قدمت إلى صفاً في فترات زمنية مختلفة من قرى ومناطق متعددة، من بينها اللطرون، وعين يرده، وبيتونيا، وهو ما يعكس طبيعة الحراك السكاني الداخلي في الريف الفلسطيني خلال الفترة العثمانية المتأخرة. في حين تتكوّن مجموعة اللاجئين من عائلات استقرت في القرية عقب حرب عام 1948م وما بعدها، وقد قدمت من قرى البرج، وبيير إماعين، والبرية، وبرفيليا، والقباب (الهودلية، 2003: 1-3).



صورة 1: قرية صفًا عام 1948. أرشيف المكتبة الوطنية الإسرائيلية.

بلغ عدد سكان قرية صفًا عام 1922م حوالي 495 نسمة، وقد ارتفع تعدادهم عام 1931م إلى 644 نسمة. وقد قدر تعدادهم عام 1945م بحوالي 790 نسمة، وزاد تعدادهم عام 1961م إلى 1364 نسمة (الدباغ 1988: 364). وتشير إحصاءات عام 1997م إلى أن تعدادهم ارتفع إلى 2857 نسمة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 1999: 99)، كما تشير إحصاءات عام 2000م إلى أن تعدادهم قد ارتفع إلى 3182 نسمة (الهودلية، 2003: 4). ويبلغ عدد سكان القرية حاليًا نحو 5250 نسمة، وفق مقابلة شخصية مع رئيس المجلس القروي جمال عبد الكريم فلنة بتاريخ 2026/5/10م.

## 2. معركة كُريسيّة:

جاءت معركة كُريسيّة في سياق سلسلة من المعارك التي شنتها العصابات الصهيونية على القرى الفلسطينية، والجيش الأردني، والثوار الفلسطينيين؛ بهدف السيطرة على منطقة اللطرون والقرى المحيطة بها، بالإضافة إلى السيطرة على طريق باب الواد الذي يصل السهل الساحلي الفلسطيني بمدينة القدس، والطريق الممتد من قرى اللطرون وعمواس ويالو وبيت نوبا وبيت سيرا، وهو امتداد الطريق الذي يربط قطاع غزة بمدينة رام الله، فضلًا عن الطريق الواصل من مفرق بيت سيرا-رام الله مرورًا بغرب قرية صفًا وقرى خربثا بني حارث ودير قديس ونعلين وُدُرس. وقد ذكر الزعبي (2021: 95) أن المعركة وقعت بتاريخ 17 تموز/ يوليو 1948م، أي بعد أيام قليلة من تهجير قرى البرية، وسلبيت، والبرج، وبرفيليا، وبيير ماعين (أبو حجر 2003: 449-472)، الواقعة إلى الجنوب الغربي من قرية صفًا.

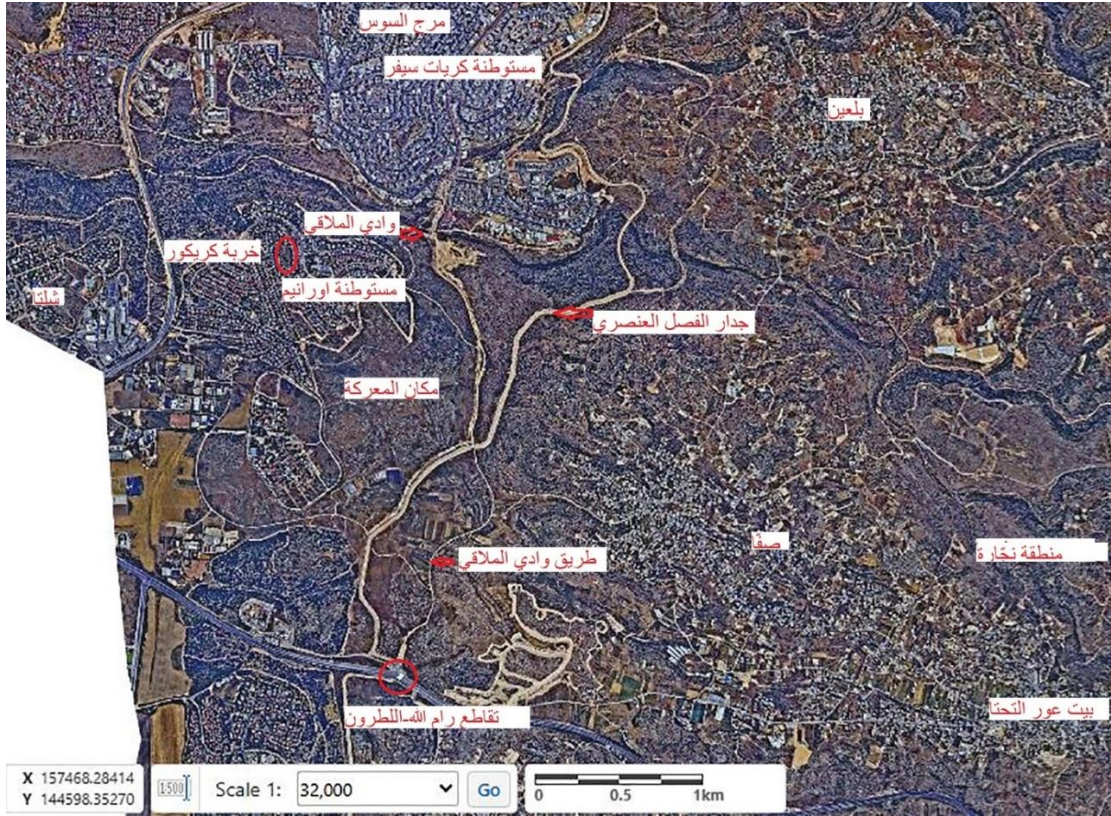
وتُعرف منطقة "كُريسيّة" بوصفها جزءًا من كتلة جبلية بارزة وواسعة تقع مباشرة إلى الغرب من قرية صفًا، وتمتاز بخصائص طبوغرافية معقدة تجمع بين الانحدارات الحادة والتدرجات البسيطة، ما أكسبها أهمية جغرافية ووظيفية عبر فترات زمنية متعددة. إذ يتسم الجبل بانحدار شديد في واجهاته الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية، في حين تنخفض حدة الانحدار تدريجيًا باتجاه الغرب والجنوب الغربي. ويعلو سطحه العلوي عدد من النتوءات والتجاويف الطبيعية غير المنتظمة. كما يُشرف الجبل على وادي الملاقي

(الملاكي) من الجهة الجنوبية، ما يمنحه موقعًا استراتيجيًا من حيث الإطلالة والتحكم البصري بالمحيط. ويحتضن هذا الجبل بقايا أربع خرب أثرية، هي: خربة كُريسنّة، وخربة أم الذنين، وخربة كريكور، وخربة الدالية، وهي مواقع تشير إلى تعاقب استيطاني تاريخي يعكس أهمية المكان عبر العصور (للمزيد عن هذه الخرب الأثرية انظر (Al-Houdalieh, 2006). وتضم هذه الخرب عددًا من الأبار القديمة التي استُخدمت حتى ثمانينيات القرن العشرين كمصادر حيوية للمياه، سواء للشرب خلال مواسم الحصاد وقطف ثمار الزيتون، أو لسقي المواشي، أو لري أشغال الأشجار، وهو ما يدل على استمرارية التفاعل بين الإنسان والبيئة في هذا الحيز الجغرافي. وعلى الرغم من الامتداد الواسع للجبل، فإن غطاءه النباتي التاريخي كان محدودًا نسبيًا، إذ لم تُستغل معظم مساحاته للزراعة الشجرية، باستثناء بقع محددة توزعت في منتصف المنحدر الشرقي، وأجزاء من المنحدر الجنوبي الشرقي، إضافة إلى مساحات متفرقة في قمة وسفوح الجزء الشمالي الشرقي. وقد زُرعت هذه المناطق بأشجار الزيتون والتين، إلى جانب بعض أشجار العنب. ويكتسب الجبل أيضًا بُعدًا ثقافيًا ومكانيًا من خلال تعدد التسميات المحلية التي أطلقها سكان القرية على أجزائه المختلفة، مثل: شعب إسيعد، وكُريسنّة، ووعر كُريسنّة، والشعب الغربي، والملفات، وأم الذنين، وكريكور، وأبو سطيح، وأم نابت، وخلايل جراح، ومراح بسط، والوطاة الشامية، وخربة الدالية، وبئر نمر، وباطن السنام. وتعكس هذه التسميات نظامًا معرفيًا محليًا دقيقًا في توصيف الحيز الجغرافي وتقسيمه، بما يخدم الأغراض الزراعية والرعية والتنقل، بالإضافة إلى تسجيل ملكيات الأراضي.

وفيما يتعلق بإمكانية الوصول، فقد اعتمد مُلاك الأراضي تاريخيًا على شبكة من المسالك الترابية الضيقة، شكّلت شرايين حركة رئيسة نحو الجبل، من أبرزها: طريق الجدول-جورة الجحاش، وطريق وعرة الشقّة، وطريق الظهر، وطريق العقبة-المحجر. وقد أسهمت هذه المسارات في ربط المجال القروي بمحيطه الجبلي، رغم ما كانت تتسم به من وعورة وتحديات تضاريسية. غير أن هذا الارتباط المكاني تعرّض لانقطاع حاد في عام 2005م، مع إنشاء جدار الفصل العنصري الذي عزل الجبل كاملاً عن قرية صفا. ويتكون هذا الجدار، في هذا المقطع، من أسلاك شائكة مرفقة بطريق معبّد يُستخدم من قبل حرس الحدود الإسرائيلي، ما أدى إلى تقييد وصول السكان إلى أراضيهم ومصادر مواردهم التقليدية. ويُمثل هذا التحول مثالاً معاصرًا على إعادة تشكيل الجغرافيا المحلية بفعل التدخلات السياسية-الأمنية، وما يترتب عليها من آثار عميقة على أنماط استخدام الأرض، والذاكرة المكانية، واستمرارية الممارسات الزراعية التقليدية.

وأوضح خليفة (1986) أن سرية من الكتيبة الأولى التابعة للواء "يفتاح"<sup>1</sup> تمكنت في منتصف ليلة 17 تموز/ يوليو 1948م من احتلال قرية ثلثا، وواصلت سرية أخرى، قوامها 80 جنديًا، تقدمها نحو المرتفع رقم 318 (خربة كريكور)، واتجهت شرقًا للسيطرة على طريق رام الله - اللطرون (صورة 2). وفي صبيحة اليوم التالي (18 تموز/ يوليو)، اكتشفت قيادة السرية فيلقًا عربيًا يتمركز في الجزء الثاني (الشرقي) من هذا المرتفع، وأنها أصبحت على بُعد 400م منه، فبدأت المباغطة من جانب العرب، وكان القرار بالانسحاب غربًا من حيث أتوا. وفي تلك الأونة، لم تكن تتوافر قوة كافية في قرية ثلثا لتأمين الانسحاب من ذلك المرتفع، وذلك لأن لواء "يفتاح" أرسل العديد من جنوده للمساهمة في احتلال اللطرون. وجاء في الرواية الإسرائيلية الرسمية أن هذه المعركة كانت قاسية جدًا، حيث "نزلت بنا الضربة الأشد قسوة في عملية داني الحافلة بالنجاحات، وكانت تلك أشد الضربات قسوة من بين الضربات التي تلقاها "يفتاح" في كل المعارك التي خاضها"، وقد بلغ عدد القتلى 44 جنديًا. وذكر رايبين (2015: 69) في مذكراته بأن الجيش الأردني كَبَد قوات لواء "يفتاح" في هذه المعركة "خسائر فادحة جدًا، وأعلن عن 44 جنديًا منها كمفقودين".

<sup>1</sup> لواء "يفتاح": يعرف أيضًا باللواء 11، وهو أحد ألوية النخبة التابعة للبالماخ، ولعب دورًا رئيسيًا في حرب عام 1948م. تولى قيادته إيغال ألون، ومن ثم أسندت القيادة إلى مولاة كوهين (جزار 2008: 149).



**صورة 2:** صورة جوية تظهر مكان المعركة وقرى صفاً وبلعين وشلتا، ومفرق طريق رام الله - اللطرون. المصدر جيومولج بتصريف من الباحثين.

يرى عوفر (2008: 186-191) أن اشتباكات واسعة النطاق ومرتفع الكلفة البشرية وقع في منطقة كركور وعلى الهضبة الممتدة شرقاً، ونُفذ من قبل وحدات من كتيبة "يفتاح" خلال ليلة 17 وصباح 18 تموز/يوليو 1948. ويُفسّر عوفر هدف العملية في إطار السعي للسيطرة على محور مواصلات حيوي يربط رام الله بمنطقة اللطرون، وذلك لتعطيل وصول الإمدادات العربية إلى جبهة اللطرون تمهيداً للسيطرة عليها. أُسندت هذه المهمة العسكرية إلى السرية (ب) من الكتيبة الأولى، التي بدأت بتأمين خربة كركور واتخاذها نقطة ارتكاز، حيث أُقيمت فيها مجموعة من الجنود لتثبيت السيطرة والبدء في حفر الخنادق، بينما تقدّم 82 جندياً باتجاه الشرق لاستكمال التوغّل نحو الطريق المستهدف. وفي المقابل، رصدت القوة الأردنية المتمركزة على سفوح وادي الملاقي هذا التحرك، فبادرت إلى حشد قواتها والاستعداد للاشتباك. ومع بزوغ شمس يوم 18 تموز/يوليو، وبعد استراحة قصيرة لتناول الطعام، اندلعت المواجهة المسلحة. وأسفرت هذه المعركة عن خسائر كبيرة في صفوف السرية (ب)، حيث قُتل 45 جندياً وجُرح عشرات آخرون، فيما انسحب من تبقى عبر حقول الذرة باتجاه قرى شلتا والبرج. ويذكر كذلك أن 44 قتيلاً بقوا في ميدان المعركة، إضافة إلى عدد من الجرحى الذين أُجهز عليهم في اليوم ذاته من قبل القوات الأردنية ومتطوعين من القرى المجاورة. كما بقيت رفات القتلى في موقع الاشتباك لمدة تقارب عامًا ونصف العام، قبل أن تُجمع بقاياها في مطلع عام 1950م، وذلك بموجب اتفاقية أبرمت مع المملكة الأردنية. وذكر الزعبي (2021: 95) هذه المعركة باسم معركة قرية صفا/ رأس كركور، (وربما كان المقصود برأس كركور هنا منطقة خربة كركور المشار إليها أعلاه، لأن رأس كركور هي قرية تبعد نحو 8 كم إلى الشمال الشرقي من صفاً، ويفصل بينهما عدد من القرى الفلسطينية، ولا يُعلم بوقوع معركة فيها عام 1948م). وأضاف: أن سرية من الجيش الأردني كانت تتموضع في وادي الملاقي (المشار إليه أعلاه)، وقد اكتشف قائد هذه السرية، عند الساعة الثالثة والنصف صباحاً، أن قوة من العدو الإسرائيلي تُقدّر بكتيبة تتمركز على

الجبل المقابل من الجهة الجنوبية. وقد تربث الجيش الأردني حتى بزوغ الفجر، ثم أمطر تلك القوة، عند الساعة السادسة، بمدافع الهاون الثقيلة وبالرصاص، الأمر الذي أدى إلى إصابتهم بالذعر والإرباك والخسائر في الأرواح والعدة والعتاد. وفي النهاية، وجد المتبقون من أفراد هذه الكتيبة أنفسهم مجبرين على الانسحاب باتجاه الغرب (القرى الفلسطينية التي تم احتلالها قبل عدة أيام) مخلفين وراءهم 72 قتيلًا، بينهم ضابط واحد وتسعة مجندات، إضافة إلى كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر وجهاز لاسلكي. أما عن خسائر العرب، فقد انحصرت في استشهاد مناضل فلسطيني واحد، واثنين من أفراد السرية الأردنية.

أورد نمر (2001: 140-142) واقعة معركة كُريسة تحت مسمى معركة "وادي الملاقي"، مستندًا إلى رواية شفوية نقلها عن محمد حسن أبو حلاوة، أحد سكان قرية خربثا بني حارث، والذي شارك ميدانيًا في أحداثها. وبحسب هذه الرواية، تمركزت وحدات من الجيش الأردني في منطقة مرج السوس، وهي منطقة مرتفعة ذات إشراف طبوغرافي على وادي الملاقي ومنطقة كُريسة من الجهة الشمالية، ما منحها أفضلية تكتيكية في الرصد والسيطرة النارية. وقد حظيت هذه القوات بإسناد من متطوعين محليين من القرى المجاورة، في إطار تعبئة شعبية للدفاع عن المنطقة.

وتشير الشهادة إلى وقوع هجوم مكثف على القوات الإسرائيلية، انتهى بانسحابها نحو الغرب، تاركة خلفها عددًا كبيرًا من القتلى قُدّر بنحو 300 قتيل، إضافة إلى مئات الجرحى، وهو تقدير يستند إلى المعاينة الميدانية اللاحقة أكثر من استناده إلى إحصاء رسمي موثوق. ويضيف الراوي بُعدًا زمنيًا لاحقًا للمعركة، إذ يذكر أنه عاد إلى موقع المعركة بعد نحو أسبوعين للمشاركة في جني محصول الذرة البيضاء، حيث لاحظ، مع بقية المزارعين، بقاء جثث القتلى متناثرة في ساحة المعركة وقد بدأت بالتحلل في أماكنها. كما يورد حادثة إطلاق نار استهدفت مزارعين أثناء عملهم في الحقول (يُرجح أنها صدرت من جهة قرية شلنا المحتلة والواقعة إلى الغرب من مكان المعركة)، ما أسفر عن مقتل فتاة تبلغ من العمر 16 عامًا كانت قد نزحت من قرية شلنا إلى قرية خربثا بني حارث. وقد ذكر مورس (Morris 2008: 475) بالاعتماد على ذكريات أرشيد مرشود، بأن عدد القتلى الإسرائيليين في هذه المعركة كان نحو 300 جندي.

وأضاف نمر (2001: 141-142): أما على صعيد الخسائر في صفوف المتطوعين، فتُفيد الرواية باستشهاد خمسة أفراد من ثلاثة قرى مختلفة، هم: خليل إبراهيم أبو حسنة نصر، وعبد اللطيف إبراهيم حسين ناصر (الملقب بالأشقر)، ومحمد أحمد الشيخ أحمد (الملقب باللوليا) من قرية صفًا، وصالح خضر من بيت عور التحتا، ومحمد ذياب أبو غوش من عمواس. وتُقدّم الشهادة وصفًا تفصيليًا لظروف استشهاد ثلاثة من متطوعي صفًا. فبحسب الرواية، وبعد تراجع القوات الإسرائيلية وخفوت وتيرة إطلاق النار، غادر خليل أبو حسنة موقعه الدفاعي ووقف في موضع مكشوف ملوحًا بكوفيته تعبيرًا عن النصر، قبل أن يُستهدف بإطلاق نار من أحد الجنود الجرحى المتبقين في ساحة المعركة. وعندما حاول محمد الشيخ أحمد الوصول إليه لإنقاذه، تعرّض بدوره لإطلاق نار مماثل أرداه أرضًا. وفي محاولة لاحقة لتأمين زميليه ونقلهما إلى موقع أكثر أمانًا، أُصيب عبد اللطيف ناصر برصاص أحد الجنود الجرحى، ليلتحق بهما شهيدًا في المكان ذاته.

وفي ظل الندرة الملحوظة في المصادر الرسمية والأرشيفية، وغياب الدراسات البحثية المتخصصة التي تناولت هذه المعركة بصورة منهجية، فقد اعتمدت هذه الدراسة على منهج التاريخ الشفوي بوصفه أداة أساسية لاستعادة الأحداث وإعادة بنائها. وعليه، أُجريت سلسلة من المقابلات مع عدد من كبار السن من سكان قرية صفًا، ممن عايشوا أحداث عام 1948م أو كانوا شهودًا مباشرين على تدايها. وقد استهدفت هذه المقابلات جمع أكبر قدر ممكن من التفاصيل المرتبطة بسياق المعركة، بما في ذلك الموقع الجغرافي، وتسلسل الأحداث، وأنماط المشاركة المحلية، إضافة إلى الأبعاد الاجتماعية والإنسانية المرتبطة بها. كما روعي في اختيار العينة تنوع الخلفيات والخبرات؛ لضمان تمثيل أوسع للروايات، مع إجراء مقارنات بين الشهادات للتحقق من درجة الاتساق وتقليل أثر التحيزات

الفردية أو فجوات الذاكرة. وفيما يلي، تعرض نماذج مختارة من هذه الشهادات، التي تمثل مادة توثيقية أساسية لفهم أعمق لمجريات المعركة في سياقها المحلي.

تستند الشهادة الآتية إلى رواية محمد عبد الفتاح سمارة ناصر (مواليد قرية صفًا عام 1943م)، الذي التحق في بدايات شبابه بالحيش الأردني، وخدم في مواقع متعددة داخل فلسطين، ثم واصل خدمته بعد عام 1967م في المملكة الأردنية الهاشمية، قبل أن ينضم لاحقًا إلى صفوف منظمة التحرير الفلسطينية. وتعتمد هذه الشهادة، كما أورد في بداية حديثه، على معلومات استقاها من عمه محمد عبد الفتاح سمارة، الذي شارك في هذه المعركة، وعلى شهادات سمعها من جنود أردنيين نجوا من أتون هذه المعركة ومعارك أخرى جرت في القرى المجاورة.

وتفيد الشهادة بأنه، قبيل اندلاع المعركة، تمركزت فئدة مدفعية هاون بقيادة أبو ثخينة، تابعة للحيش الأردني، في بدّ عيسى-مرج السوس، وهو موقع مرتفع يطل على وادي الملاقي ويرتفع قليلاً عن مستوى كُريستة، فيما تمركزت فئدة أخرى إلى الجنوب الشرقي من مرج السوس في منطقة المراح الغربي، بما فيها الجريدة، إلى جانب نقطة مراقبة في كريكور الواقعة إلى الجنوب الغربي من مرج السوس. وكان خط اتصال ميداني يربط بين كريكور ومرج السوس، غير أن القوات الإسرائيلية رصدت هذا الخط وقامت بقطعه ليلاً، ونصبت كميناً قرب نقطة القطع. وعند توجّه مسؤول اللاسلكي لاستطلاع الخلل، تعرّض لإطلاق نار أدى إلى استشهاده بعد وقت وجيز.

وأدى إطلاق النار على مسؤول اللاسلكي إلى رفع حالة التأهب لدى القوات الأردنية في المنطقة، وسرعان ما انتقلت أصداء الحدث إلى القرى المجاورة، فهبّ متطوعون مسلحون بأسلحة فردية من قرى صفًا، وبيت عور التحتا، وعمواس، ويالو، وخربثا بني حارث. وبحسب الرواية، وصلت القوة الإسرائيلية في ساعات الصباح الأولى إلى منطقتي الوطاة الشامية وخربة الدالية الواقعتين جنوب وجنوب غرب وعَر كُريستة، في حين تسللت مجموعات من المتطوعين الفلسطينيين، ومنهم شبّان من صفًا، عبر شعب إسعيد حتى بلغت بئر مرج برغال غربًا، وهو موقع يشرف على الوطاة الشامية من الجهة الشرقية، حيث اتخذوا مواقع قتالية مناسبة.

ومع انطلاق الاشتباك في الصباح الباكر، افتتح القتال بنيران مدفعية الهاون من مرج السوس، بالتوازي مع إطلاق نار مباشر من الموقع الأمامي الذي تمركز فيه المتطوعون الفلسطينيون. واستمر تبادل إطلاق النار حتى ساعات الظهر، قبل أن تنسحب القوة الإسرائيلية عبر حقول الدرة البيضاء باتجاه الغرب، تاركَةً وراءها أعدادًا كبيرة من القتلى والجرحى قُدرت مجتمعة بنحو 300 شخصًا، وقد شاهد كثير من المزارعين أثناء قطف الدرة، جثث القتلى الإسرائيليين شبه متحللة. أما من المتطوعين، فقد استشهد ثلاثة من صفًا بيد مجندة جريحة، هم: خليل إبراهيم أبو حسنة نصر، وعبد اللطيف إبراهيم حسين ناصر (الملقب بالأشقر)، ومحمد أحمد الشيخ أحمد (الملقب باللوليا)، وشخصين من قرية بيت عور التحتا، وشخص من عمواس. وفي أعقاب المعركة، نُقلت جثامين شهداء صفًا ودُفنت متجاورة في فُسقية ضمن المقبرة الغربية للقرية.

بعد احتلال قرى البرية، وبيير إماعين، والبرج، وقتل سكانها وتهجيرهم، دبّ الرعب في نفوس سكان صفًا؛ الأمر الذي دفع كثيرًا من العائلات إلى اتخاذ قرار الهجرة نحو القرى الشرقية، وإلى الشّعب والكروم والجبال، بحثًا عن مغاور للاختباء بها. وفي يوم معركة كُريستة، وهول ما وقع فيها، وجدت معظم العائلات المتبقية في بيوتها نفسها مضطرة إلى الهجرة، ظنًا منها أن احتلال القرية أصبح أمرًا واقعًا لا محالة. كانت غالبية السكان قد هجرت القرية، ولم يبقَ فيها سوى كبار السن وبعض العائلات، بالإضافة إلى متطوعين شباب يملكون بواريد (بنادق) خاصة. ويضيف الراوي: "نحن هجرنا إلى قرية عين عريك، مصطحبين معنا الحد الأدنى مما نحتاج للأكل والنوم، وتموضعنا في كرم يقع على منحدر جنوبي في الجهة الشرقية من القرية، وكان مغروسًا بأشجار التين والعنب. معظم سكان صفًا بقوا مهاجرين مدة أسبوعين تقريبًا بعد معركة كُريستة ثم عادوا، أما نحن فبقينا حتى بداية فصل الشتاء".

وقدم يوسف محمود حمد الله حمّاد (الملقب بأبي زينة)، وهو من مواليد قرية بير إماعين عام 1924م، سرديته التالية حول معركة كُريستة: "في عام النكبة، كنت شابًا وخاطبًا وكان أهلي يحضرون للعرس. هُجّرنا من بير إماعين ليلاً، ونزلنا في كرم البيك الواقع مباشرة إلى الغرب من قرية بيت سيرا لأيام قليلة، ثم ذهبنا إلى قرية بلعين، وسكنا فيها عدة أشهر، ومن ثم انتقلنا إلى صفّا. في يوم المعركة نفسه، فَرَّع عدد من أهالي صفّا وأشخاص من القرى القريبة المجاورة، وكانوا يحملون بواريد، وصعدوا شُعب إسعيد حتى وصلوا إلى مشارف بئر مرج برغال، وبدأت المعركة في الصباح الباكر واستمرت عدة ساعات. كانت الشمس في وجوه اليهود، بينما كان أهل صفّا ومن معهم يعطون ظهورهم للشمس، وهذا أتعب اليهود: قصف هاون من مرج السوس، وإطلاق نار من الشرق، وأشعة الشمس في عيونهم. لم يستطيعوا الاستمرار في المعركة، فانسحبوا غربًا، مخلفين وراءهم قتلى وجرحى.

وهناك روايات كثيرة حول عددهم؛ فبعض الأشخاص يقولون إنهم أقل من مئة، بينما يرى كثيرون أنهم أكثر من هذا الرقم بكثير. لكن الغالبية العظمى من أهل صفّا يقولون إن مجندة إسرائيلية جريحة كانت متوارية خلف حجر كبير قتلت ثلاثة أشخاص من صفّا، هم: اللوليا، والأشقر، وأبو حسنة، وأن هذه المجندة قُتلت لاحقًا في مكانها. وتم دفن الشهداء الثلاثة من قرية صفّا إلى جوار بعضهم داخل مقبرتها الغربية، وبنى أهل القرية فوقهم فسقية من الحجارة.

وعلى مدار عدة أيام بعد انتهاء المعركة، كان أهالي صفّا يذهبون إلى الوطاة الشامية للبحث عن أسلحة؛ فمنهم من وجد سكين، ومنهم من عثر على بواريد، وكثيرون جمعوا الرصاص. وأضاف الراوي: "وأنا ساكن في بلعين، كُنّا نملك حلالاً وأرعى الغنم. وعندما أنهى المزارعون حصاد مزروعاتهم ونقلوها إلى بيادرهم، كنت أرعى الغنم في تلك الحقول التي دارت المعركة فيها. وهناك، رأيت بقايا جُثث في أماكن متفرقة، وما زلت أذكر مشاهدتي لبقايا أربع جثث تحت شجرة تين كانت تنمو في هفّة بخربة الدالية. وعندما كنت أرعى الغنم في الجبال الواقعة بين قريتي بلعين وصفّا، شاهدت العديد من العائلات النازحة من صفّا تعيش في الكهوف وفي الكروم، ولكن ذلك لم يَدِم طويلاً".

وقدّم محمد علي أحمد الشيخ أحمد (مواليد صفّا عام 1958م)، وهو ابن شقيق محمد أحمد الشيخ أحمد (الملقب باللوليا)، شهادة منقولة عن والده، تفيد بأنه، عقب اكتشاف الجيش الأردني، ومن يخدم فيه من أبناء صفّا والقرى المجاورة، توغّل القوات اليهودية في منطقة كريكور، بدأ حشد سريع في قرية صفّا. وانطلقت مجموعة من المتطوعين، مزودين بأسلحتهم الفردية، ليلاً باتجاه الغرب نحو منطقة الظهر، ومنها عبروا طريق وادي الملاقي وصولاً إلى شعب إسعيد، حيث صعدوا إلى قمته واتخذوا مواقع دفاعية مقابلة لبئر مرج برغال (صورة 3).

ووفقاً للرواية، استمر الاشتباك عدة ساعات، ومع انقطاع إطلاق النار من الجهة المقابلة لفترة زمنية ملحوظة، افترض المتطوعون خلو ساحة المعركة من المقاتلين الأحياء. وفي هذه الأثناء، غادر خليل أبو حسنة موقعه وتقدّم نحو موقع القتلى اليهود، قبل أن يتعرض لإطلاق نار مفاجئ أدى إلى مقتله. وبعد وقت وجيز، حاول عبد اللطيف ناصر (الأشقر) الوصول إليه لإنقاذه، إلا أنه أصيب بدوره ووقع أرضًا بالقرب منه. ولم يلبث محمد أحمد الشيخ أحمد (اللوليا) أن حاول التقدم لنجدة زميليه، غير أنه تعرّض لإطلاق نار من المصدر ذاته، ما أدى إلى مقتله. وتشير الشهادة إلى أن المتطوعين تمكنوا لاحقاً من تحديد موقع مصدر النيران، واتخذ بعضهم مواقع مناسبة لاستهدافه، حيث نجحوا في تحييده، ليتبين أنه صادر عن مجندة جريحة لم تتمكن من الانسحاب من موقع الاشتباك. وفي أعقاب انتهاء المواجهة، نُقلت جثامين الشهداء إلى قراهم، وُدُفن شهداء قرية صفّا إلى جوار بعضهم في فسقية واحدة ضمن المقبرة الغربية.



**صورة 3:** أسماء المناطق للمرتفع الذي دارت عليه المعركة. المصدر: جيومولج بتصريف من الباحثين.

وفي فيلم وثائقي بعنوان "طريق النجاة إلى كُريسة"، أنتج من قبل عدد من سكان قرية صفا عام 2012م، أكد عبد الرؤوف نصر أنه كان قد نزح مع عائلته من قرية صفا إلى منزل شقيقه في قرية دير إبزيع. وفي ليلة المعركة نفسها، علم سكان القرى المجاورة بوجود نية لدى اليهود لقطع طريق وادي الملاقي ومهاجمة قرية صفا؛ وبناءً على ذلك، عاد عبد الرؤوف نصر ليلاً إلى قرية صفا، حيث التقى بنحو عشرين متطوعاً شاركوا في مواجهة السرية اليهودية في كُريسة (فيلم وثائقي، 2012).

وتفيد غالبية الشهادات الشفوية بأن موجة نزوح واسعة النطاق شملت عائلات القرية، برفقة مواشيها وبعض ممتلكاتها، قد حدثت قبيل معركة كُريسة أو بالتزامن معها، حيث اتجه السكان نحو المناطق الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من القرية بوصفها فضاءات أكثر أمناً نسبياً، بالإضافة إلى عدد من القرى، مثل: دير إبزيع، وكفر نعمة، وعين عريك، ودير جرير. وقد مكثت هذه العائلات في حالة نزوح مؤقت تراوحت بين أسبوعين وشهرين ونصف، قبل أن تبدأ عملية عودة تدريجية إلى القرية.

وعقب العودة، استأنف بعض السكان أنشطتهم الزراعية في ظل ظروف اتسمت بعدم الاستقرار. وعلى الرغم من دخول الهدنة الثانية حيّز التنفيذ بتاريخ 18 تموز 1948م، فإن الشهادات تؤكد أن حالة الحذر لم تتراجع، بل استمرت حالة التأهب على مدار الساعة نتيجة هشاشة الوضع الأمني وإمكانية تجدد الاشتباكات. وفي هذا الإطار، فعّل السكان آليات الحماية الذاتية من خلال تنظيم فرق حراسة ليلية بإشراف الجيش الأردني.

ويتضح من مجمل المعطيات أن القوات الصهيونية تمكّنت من احتلال قرية شلتا بتاريخ 17 تموز/ يوليو، ثم واصلت تقدّمها شرقاً خلال ليلة 18 تموز/ يوليو، حيث سيطرت على خربة كريكور، وهي موقع أثري مهجور يضم بقايا مباني قديمة وعدداً من المغاور والقبور المنحوتة في الصخر على هيئة حجرات ذات مداخل ضيقة. وتشير الدلائل إلى أن جزءاً من القوة العسكرية بقي متمركزاً في الخربة، على الأرجح لتأمين الموقع وتعزيز السيطرة عليه، في حين واصلت بقية السرية تقدمها شرقاً سيراً على الأقدام عبر تضاريس

وعرة وحقول مزروعة بالذرة، ما جعلها مكشوفة نسبياً أمام موقع الرصد التابع للقوات الأردنية المتمركزة في مرج السوس/خربة بدّ عيسى.

وفي المقابل، تمكّن المتطوعون الفلسطينيون، قبيل اندلاع الاشتباك من تحديد محور حركة هذه القوة، فبادروا إلى الصعود نحو قمة منطقة شعب إسعيد واتخذوا مواقع قتالية، بهدف اعتراض التقدم وفرض مواجهة مباشرة ضمن ظروف تكتيكية أكثر ملاءمة. ومع بزوغ فجر يوم 18 تموز/ يوليو، كانت السرية قد اقتربت من هدفها المتمثل في الوصول إلى الطريق والسيطرة عليه، بهدف قطع الإمدادات العربية المتجهة للدفاع عن قرية اللطرون. وإذا ما أخذ بعين الاعتبار ما أورده عوفر بشأن تناول الجنود وجبة الإفطار في تلك الأونة، فإن ذلك يُرجّح أنهم كانوا في حالة تجمّع نسبي، الأمر الذي قد يكون أثر سلبيًا على مستوى جاهزيتهم الفورية للاستجابة لهجوم مفاجئ، رغم حالة التأهب العامة.

عند هذه المرحلة، تعرّضت السرية لإطلاق قذائف مدفعية من مرج السوس، الواقع إلى يسار خط تقدمها، ما دفعها إلى تسريع حركتها باتجاه طريق وادي الملاقي في أسفل شعب إسعيد، في محاولة للوصول إلى الطريق لتأمين الهدف والاحتماء من قذائف المدفعية الأردنية، لأن النقطة المقصودة من هذه الطريق مخفيّة عن أعين القوات الأردنية. غير أن هذا التحرك السريع قادها إلى الوقوع ضمن نطاق نيران قريبة ومركزة من الجهة الشرقية، حيث تمركز المتطوعون الفلسطينيون في موقع آمن نسبيًا، لتجد نفسها محاصرة بين مصدرين للنيران: قصف مدفعي من جهة، ونيران مباشرة من مسافة قريبة من جهة أخرى. وقد أسهم هذا الوضع التكتيكي المعقد في إرباك القوة المهاجمة وإضعاف قدرتها على المناورة أو إعادة الانتشار، ما أدى في نهاية المطاف إلى تكبّد خسائر كبيرة وانسحاب من تبقى على قيد الحياة من ميدان المعركة دون تحقيق الهدف.

عند إعادة تركيب المشهد العملي، يُحتمل أن أفراد هذه السرية لم يمتلكوا خبرة ميدانية كافية بطبيعة القتال في البيئات الجبلية، كما يبدو أنهم كانوا يفتقرون إلى معرفة تفصيلية بتضاريس المنطقة الموكلة إليهم، وهو ما انعكس في اختيارهم خط سير يمر عبر قمم هضاب مكشوفة من مختلف الجهات. ويُرجّح أن قائد السرية اتخذ هذا المسار لاعتبارين مترابطين: أولهما تحقيق أفضلية بصرية تمكّنه من مراقبة الاتجاهات الشمالية والجنوبية والشرقية بعد إحكام السيطرة على الجهة الغربية؛ وثانيهما افتراضه، استنادًا إلى معطيات مسبقة، خلوّ محور التقدّم من أي وجود سكاني عربي قد يشكّل مصدر تهديد مباشر، خاصة أن أقرب قرية تبعد نحو 2,5 كم عن خربة كريكور. غير أن هذا التقدير الميداني أغفل احتمال التعرض لاشتباك مبكر قبل بلوغ الهدف، وهو ما كان يستدعي، من منظور تكتيكي، اختيار مسار أقل انكشافًا وأكثر قابلية للمناورة.

وفي هذا السياق، يمكن الافتراض أن مسارًا بديلًا ينطلق من خربة كريكور مرورًا بخربة الدالية، ثم يترنم وصولًا إلى خلة البزار كان سيوفر غطاءً تضاريسيًا أفضل، إذ يمر في نهايته بين السفح الجنوبي لمنطقة باطن السنام والسفح الشمالي لخربة حورية. ومن شأن هذا الخيار أن يقلل من التعرض المباشر لنيران المدفعية الأردنية المتمركزة في مرج السوس/ بدّ عيسى، ويمنح السرية فرصة أكبر للتحرك بين الهضاب، بما يعزّز احتمالات الوصول إلى الهدف دون انكشاف مبكر أو استنزاف بشري. إضافة إلى ذلك، يُعتقد أن هذه السرية قد أخطأت نقطة الهدف الرئيس، وهو طريق رام الله – اللطرون، الواقع بالقرب من قرية بيت سيرا، على بُعد نحو 2 كم إلى الجنوب من المقطع المستهدف عمليًا.

تُظهر الرواية الإسرائيلية الرسمية، كما ترجمها خليفة أعلاه، أن قوة عسكرية بحجم "فيلق" كانت تتمركز في الجهة الشرقية من المرتفع رقم 318 (كريكور-كُريستة)، وأنها شكّلت العنصر الرئيس في الاشتباك مع سرية "يفتاح". غير أن مقارنة هذه الرواية بما أورده كلٌّ من عوفر ونمر، إضافة إلى الشهادات الشفوية التي جُمعت من سكان قرية صفا، تكشف صورة ميدانية مختلفة نسبيًا؛ إذ تشير المعطيات المتقاطعة إلى أن القوة الأردنية النظامية، بما فيها وحدات مدافع الهاون، كانت متمركزة في منطقة مرج السوس/ بدّ عيسى، الواقعة على بُعد يقارب 1500 م إلى الشمال من ساحة المعركة.

وفي ضوء هذا التباين، يبدو من المرجح أن المقصود بـ"الفيلق" الذي أشارت إليه الرواية الإسرائيلية الرسمية، والذي قيل إن سرية "يفتاح" فوجتت به على مسافة تقارب 400م، لم يكن قوة نظامية كبيرة بالمعنى العسكري الدقيق، بل مجموعات من المتطوعين الفلسطينيين القادمين من قرية صفّاء والقرى المجاورة. ويبدو أن طبيعة انتشار هؤلاء المتطوعين، وتموضعهم في نقاط تسمح بإطلاق نار مباشر من مسافات قريبة، قد أعطت الانطباع بوجود قوة أكبر حجمًا وأكثر تنظيمًا مما كانت عليه فعليًا.

أما فيما يتعلق بتقدير عدد الخسائر في صفوف السرية (ب)، فنُظِر المصادر المتاحة تباينًا ملحوظًا؛ إذ تورد الرواية الإسرائيلية رقمًا يقارب 45 قتيلًا، في حين تقدّم الشهادات العربية تقديرات أعلى تتراوح بين 72 قتيلًا ونحو 300 بين قتيل وجريح. وفي ظل هذا الاختلاف العددي بين روايات تنتمي إلى سياقات سردية متباينة، يتعدّد تبيّن أي منها بصورة قطعية، لاحتمال تأثرها بعوامل ذاتية أو خطابية، إذ قد تميل إحداها إلى تقليل حجم الخسائر، في حين قد تسعى الأخرى إلى تضخيمها في إطار تأكيد الانتصار. ومع ذلك، وبغض النظر عن الدقة الكمية لهذه التقديرات، فإن الشهادات الميدانية المتواترة تكتسب دلالة نوعية مهمة؛ إذ أفاد تسعة من المستجيبين بمشاهدتهم أعدادًا كبيرة من جثث القتلى أو بقاياها العظمية في الأراضي الزراعية بموقع المعركة ومحيطها، واستمرار وجودها لفترة تجاوزت عامًا كاملًا.

وعلى مستوى الذاكرة الجمعية، يتجاوز أثر هذه المعركة بعدها العسكري المباشر، ليترسّخ ضمن الوعي الثقافي لسكان قرية صفّاء، حيث ما تزال حاضرة في الموروث الشفوي حتى اليوم، بعد مرور ما يقارب ثمانية عقود على وقوعها. ويتجلى ذلك في حضورها ضمن الأغاني الشعبية في المناسبات الاجتماعية، ولا سيما في حفلات الزفاف، مثل المقطع: "هَبَّت النار في راس جريسة، وصار الرصاص يُعَقَّر عَفْرَ الجريسة"، وهو ما يعكس استمرارية تمثّل الحدث في الوجدان الجمعي، وتحوله من واقعة تاريخية إلى عنصر من عناصر الهوية الثقافية المحلية.

وفي إطار التحقق من أسماء الشهداء المتطوعين، إلى جانب شهداء قرية صفّاء الذين أوردتهم نمر وآخرون أعلاه، فقد أُجريت مقابلات شخصية مع أعضاء من المجلس البلدي لقرية بيت عور التحتا، بحضور محمود علي الشامي بدران (مواليد عام 1931م)، حيث أفادوا بأن عدد الشهداء من قريتهم في معركة كُريسة بلغ ثلاثة أشخاص، هم: محمود مصطفى ضيف الله، وصالح داود أحمد عثمان، وحسين عمر عليان. ولكن العارف ذكر بأن حسين عمر عليان استشهد في القدس بتاريخ 27 كانون ثاني 1948م (العارف 1956: 31). وقد أورد أبو غوش أن محمد زياب محمد ذيب، من سكان قرية عمواس، قد استشهد في هذه المعركة (أبو غوش 2004: 200)، كما ذكر محمود علي الشامي بدران أن محمد زياب محمد ذيب دفن في قرية بيت عور التحتا.

### 3. خنادق وحراسة:

تُفيد شهادات العديد من المبحوثين بأن القرى الفلسطينية الحدودية، ومن ضمنها قرية صفّاء، قد شهدت، منذ عام 1949م وحتى عام 1967م، تطوير منظومات دفاعية محلية ذات طابع عسكري بسيط، وذلك استجابةً للتهديدات الأمنية المتكررة وما رافقها من عمليات تسلل ليلية وهجمات استهدفت التجمعات السكنية الفلسطينية. وفي هذا السياق، أنشئ حول قرية صفّاء نظام تحصيني متكامل تمثّل في خندق دفاعي منقطع يحيط بها من الجهات الجنوبية والشمالية والغربية. وقد شكّلت هذه التدابير جزءًا من استراتيجية وقائية اعتمدها العديد من القرى الحدودية، بهدف الحد من مخاطر التسلل المفاجئ وتقليل احتمالية وقوع مجازر مشابهة لتلك التي سُجّلت في عدد من القرى والبلدات والمدن خلال حرب عام 1948م.

ويتخذ الخندق شكل خطوط منقطعة محفورة في التربة، مع تكيف واضح مع الخصائص الطبوغرافية والجيولوجية للموقع. ويتكون هذا النظام من عنصرين رئيسيين: "خطوط الاتصال" و"الاستحكامات"، وقد تولّى سكان القرية أنفسهم تنفيذ أعمال الحفر والبناء بمواردهم الذاتية، بالتنسيق والتخطيط مع الجيش الأردني، في دلالة على الطابع المجتمعي والتنظيمي لهذه المبادرة الدفاعية.

يبلغ عرض "خط الاتصال" بين 0.8م و1م، وعمقه نحو 1.4م، وتتراوح مقاطعه بين 100م - 400م، وقد دُعمت جوانبه في بعض المقاطع، بحجارة متفاوتة الأحجام للحد من انهيارات التربة، لا سيما في المناطق ذات البنية الترابية الهشة. وقد حُصصت هذه الخطوط أساسًا لتأمين حركة الحراس بين الاستحكامات، حيث كانوا يتنقلون بانحناء خفيف إلى الأمام لتقليل انكشافهم البصري، وهو ما يعكس وعيًا تكتيكيًا بطبيعة التهديدات المحيطة. ولم تُغفل هذه المنظومة الدفاعية الاحتياجات الاقتصادية والبيومية للسكان، إذ تُركت فراغات بين مقاطع الخندق لتُستخدم ممرات لعبور الأهالي ومواشيهم بين المساكن والأراضي الزراعية. وقد وُزعت هذه الممرات بشكل مدروس بما يضمن التوازن بين متطلبات الحماية واستمرارية النشاط الزراعي والرعي.

وتُعدّ "الاستحكامات" عناصر محورية ضمن منظومة الخنادق الدفاعية، إذ تمثل نقاط ارتكاز تكتيكية صُممت لتعزيز القدرة على المراقبة والاشتباك ضمن بيئة تهديد وتوتر شبه دائمة. وتتميز هذه المنشآت بكونها أعمق وأوسع من "خطوط الاتصال"، وغالبًا ما أُقيمت في مناطق مرتفعة نسبيًا لتتيح مجال رؤية أفقية واسعة، بما يُحسن من فعالية الرصد المبكر وتقدير الموقف الميداني. من الناحية الهندسية، تبلغ الأبعاد التقريبية للاستحكام الواحد نحو 2م×2م، وبعمق يصل إلى مترين، وهو ما يوفر حيزًا كافيًا لتموضع حارسين مع تجهيزاتهما العسكرية البسيطة. وتتصل هذه الاستحكامات بالخندق اتصالًا مباشرًا من الجانبين دون وجود بوابات فاصلة، بما يسمح بحرية الحركة السريعة في كلا الاتجاهين داخل الخندق.

وقد جرى تدعيم حواف هذه الاستحكامات بمداميك من حجارة متفاوتة الأحجام، ترتفع قليلًا فوق سطح التربة، في إجراء يجمع بين تعزيز الثبات البنيوي وتقليل قابلية الانهيار، خصوصًا في البيئات الترابية الهشة. وتتضمن الواجهات الحجرية فتحنتين موجّهتين نحو الفضاء الخارجي للقرية، صُممتا لأغراض المراقبة وإطلاق النار مع تقليل انكشاف الحارس. ويعكس هذا التصميم وعيًا وظيفيًا بمبادئ التحصين التقليدي، حيث يُوازن بين متطلبات الرؤية والسيطرة النارية من جهة، والحماية الفردية من جهة أخرى.

أما من حيث الحماية العلوية، فقد زُوّدت هذه الاستحكامات بأسقف من بلاطات إسمنتية مسلّحة، بأبعاد تقارب 2.4م طولًا و1م عرضًا، وبسماكة تصل إلى نحو 15 سم. وقد أُعدّت هذه البلاطات لتأمين مستوى مقبول من الحماية ضد المقذوفات النارية والشظايا، إضافة إلى دورها في توفير عزل نسبي من العوامل المناخية، لا سيما الأمطار والبرودة خلال فصل الشتاء. كما يُحتمل أن يكون لاستخدام الخرسانة المسلحة دلالة على إدماج تقنيات بناء حديثة نسبيًا ضمن منظومة دفاعية تقليدية، ما يعكس تفاعلًا بين المعرفة المحلية والخبرة العسكرية المتاحة في تلك الفترة. وبوجه عام، تُجسّد هذه الاستحكامات نموذجًا هجينًا يجمع بين البساطة الإنشائية والفعالية الوظيفية، حيث أنجزت بمواد وإمكانات محدودة، لكنها استوفت في الوقت ذاته متطلبات أساسية في التحصين الميداني، بما في ذلك الحماية، والرصد، والمرونة الحركية.

واستُخدمت "الاستحكامات" بوصفها نقاط ارتكاز رئيسة ضمن منظومة الحراسة الليلية، التي جرى تنظيمها وفق إطار نظامي بإشراف ضابط صف من الجيش الأردني كان يتولى مسؤولية المغفر، وبمساندة عدد من أبناء القرية العاملين في الجيش الأردني برتبة عريف، حيث كُلفوا بمهام الوظيفة لقاء أجر بلغ نحو "اليرتين" شهريًا. وقد تمحورت مسؤوليات هذه الفئة من الموظفين حول إدارة شؤون المغفر، بما في ذلك حفظ وتسليم واستلام الأسلحة الفردية ("البواريد")، والإشراف الميداني على نقاط الحراسة عبر جولات ليلية دورية للتحقق من التزام الحراس بمواقعهم، إضافة إلى تأمين قنوات الاتصال مع المغافر المجاورة عند الضرورة.

ومن الناحية المكانية، شهد مقر المغفر تغييرًا مرة واحدة؛ إذ كان في بداياته عبارة عن غرفة واحدة تُعرف محليًا بـ "بيت أبو درويش"، تقع مباشرة إلى الشرق من المسجد، وكانت تُستخدم لتخزين الأسلحة وتنظيم شؤون الحراسة. ومع تزايد متطلبات العمل الأمني، نُقل المغفر لاحقًا إلى منزل جميل أبو أسعد فئنة، الواقع على بُعد نحو 150م إلى الشرق من المسجد، والذي تميّز باتساعه النسبي، إذ ضم ثلاث غرف وبرنّدة.

واعتمد نظام الحراسة على تعبئة مجتمعية إلزامية شملت الذكور البالغين في القرية، دون مقابل مادي، في إطار من المسؤولية الجماعية عن الأمن المحلي. وقد تراوحت مدة الخدمة التطوعية للفرد بين ليلة و ثلاث ليالٍ شهريًا، مع إتاحة بديل مالي لمن يتعذر عليه الالتزام لأسباب صحية أو عائلية، حيث يمكنه تكليف شخص آخر مقابل مبلغ مالي ("شيلن")، وهو ما يشير إلى وجود آلية مرنة توازن بين الإلزام والاعتبارات الفردية.

أما من حيث آلية التنفيذ، فقد اتسمت الحراسة بدرجة عالية من التنظيم والتناوب؛ إذ كان يُخصص لكل "استحكام" حارسان اثنان يتوجهان عند غروب الشمس إلى المغفر لاستلام بندقيتين، ثم يتمركزان في الموقع أو بمحاذاته حتى منتصف الليل، حيث يتولى حارسان آخران استلام المهمة بعد تسليم واستلام السلاح، ليواصلوا الحراسة حتى ساعات الفجر الأولى. وعند انتهاء المناوبة، يُعاد السلاح إلى المغفر، ما يعكس نظامًا دقيقًا لضبط العهدة العسكرية.

وتُظهر الروايات الشفوية أن تعليمات الحراسة كانت صارمة، خاصة فيما يتعلق باستخدام السلاح؛ إذ كان يُحظر إطلاق النار دون إذن مباشر من الضابط المسؤول، وفي حال المخالفة تُفرض غرامة مالية مقدارها "عشرة قروش" على المخالف. وفي شهادة أفاد بها المرحوم جمعة عبد الله الحميدي على مسامع الكثيرين من سكان القرية عدة مرات، ومن ضمنهم الباحثان الأول والثاني بحكم الروابط الاجتماعية. لوحظ عليه دومًا وهو يروي شهادته الحيّة، طابع الخائف والناجي من هول موت محقق، إذ قال: كان عندي نبتشية [مناوبة] الحراسة مع واحد من عمري [جيلي] من دار منصور في الاستحكام إللي [الذي] عند دار أبو سارة الموجودة أول طريق المحجر من الساعة 12 بالليل حتى الصباح. وبحود الساعة 3 وجه الصباح اسمعنا جعشة [صوت ناتج عن حركة ما]، اتسمرنا [ثبنا في المكان دون حراك]، وعينينا لأعربة [باتجاه الغرب] وهذي [هذه] الجعشة بتروح وبتيجي [نسمعها من حين لآخر]، وقدّرنا بانها جابه من وري صف الصبر اللي ببعد زي 20م عننا. والله، جل [كل] ما اتزيد الجعشة يقشعر بَدْنَا، وشعرت بشعر راسي موبر زي ريش النيص من الخوف. إحنا [نحن] ماسجين [ماسكين] البواريد ومعصمين عليها، لا إحنا قادرين إنطخ [نطلق النار] ولا نشرد. الخوف خوف، وزاد خوفنا اذا رمينا [أطلقنا] رصاص رح [سوف] ندفع المعلوم عشر قروش على كل طلقة، ومن وين نجيب [توفر] المصاري؟ وظلينا [بقينا] على هالحال لما شفتق الصباح، وقمت رفعت راسي من الاستحكام وشفقت بقرة، أثريتها كاينه [كانت] ترعى طول الليل جنبنا [بالقرب منا]. ويا خوي، الله لا يسمعك شو دعينا على صاحبها.

وعلى الرغم من وجود منظومة حراسة ليلية أُقيمت حول المنطقة السكنية في قرية صفًا، فإن ذلك لم يخل دون وقوع بعض الحوادث الأمنية التي تركت أثرًا عميقًا في الذاكرة الجمعية للسكان. ومن أبرز هذه الحوادث الواقعة التي أودت بحياة ثلاثة من شبان القرية، هم: محمود علي شحادة علي، وسليم عبد الله عبد الحميد منصور، وأحمد (حمودة) عبد الرحمن إبراهيم نصر.

وتُظهر المقابلات الشفوية التي أُجريت مع عدد من المستجيبين درجة عالية من التوافق في سرد تفاصيل الحادثة، مع وجود اختلافات طفيفة في بعض الجزئيات المرتبطة بتسلسل الأحداث أو ظروفها الدقيقة. وفي هذا السياق، قدّم جمال رضوان علي شحادة (مواليد عام 1956م)، وهو ابن شقيق محمود علي شحادة، شهادة استند فيها إلى ما نقله إليه والداه وعمه رضوان وعدد من كبار السن في القرية. ووفقًا لهذه الرواية، وقعت الحادثة خلال صيف عام 1951م، في وقت كان فيه محمود يستعد للزواج.

وتفيد الشهادة بأن محمود التقى بعد صلاة العشاء بصديقيه سليم وأحمد، وخرجوا للتنزه خارج حدود خندق الحراسة المحيط بالقرية، وتحديدًا عند بداية طريق العقبة، دون أن يحملوا أي نوع من السلاح، وهو ما يوحى بأنهم لم يتوقعوا وجود خطر مباشر في تلك الليلة. ولم يبتعد الشبان كثيرًا باتجاه الغرب حتى تعرّضوا لإطلاق نار مفاجئ من مسافة قريبة، أدى إلى إصابتهم إصابات مباشرة. وتشير الرواية إلى أن محمود وصديقه سليم تمكّنا، رغم إصابتيهما، من الزحف باتجاه مركز القرية حتى وصلا إلى ساحة المسجد، حيث توفي سليم بعد وقت قصير متأثرًا بجراحه. أما محمود، فقد حاولت عائلته نقله إلى مستشفى رام الله لتلقي العلاج، إلا أن غياب وسائل

النقل في القرية آنذاك اضطرهم إلى حمله على ظهر فرس، غير أنه فارق الحياة في الطريق قبل الوصول إلى المستشفى. وتضيف الشهادة بعدًا اجتماعيًا مؤثرًا للحادثة، إذ تزامنت مع إقامة حفل زفاف في القرية، ما أدى إلى تحوّل أجواء الفرح الجماعي إلى حالة من الصدمة والاستنفار. فبمجرد انتشار خبر إطلاق النار، اندفع عدد من شبّان القرية المسلحين نحو موقع الحادث بحثًا عن المهاجمين، إلا أنهم لم يعثروا على أي أثر لهم. ودبّ الرعب في نفوس سكان القرية، فقررت بعض العائلات النزوح إلى أماكن أكثر أمنًا، ولكن هذا النزوح لم يدم سوى ليلة واحدة.

#### 4. هجرة عام 1967م:

تفيد شهادات عدد كبير من المبحوثين بأن غالبية سكان قرية صفّا غادروا منازلهم في الخامس من حزيران/يونيو 1967م، متجهين نحو المناطق الجبلية وعدد من القرى المجاورة، في موجة نزوح جماعية ارتبطت بحالة القلق والترقب التي رافقت اندلاع الحرب. وتُظهر الروايات الشفوية أن هذا النزوح لم يكن نتيجة مباشرة لوقوع مجازر أو أعمال عنف داخل القرية على يد الجيش الإسرائيلي، بل جاء في الأساس، استجابةً لحالة الخوف الجماعي وعدم اليقين التي سادت بين السكان، في ظل الأخبار المتداولة عن تقدّم القوات العسكرية وما ارتبط بها من ذاكرة سابقة لتجارب النزوح والحرب.

وفيما يلي، تُعرض ثلاث شهادات تمثل نماذج معيّنة عن عشرات الروايات التي جُمعت ميدانيًا، وتشمل: شهادة لعائلة نزحت ثم عادت إلى القرية بعد انتهاء حرب الأيام الستة، وشهادة لعائلة اختارت البقاء وعدم المغادرة، إضافة إلى شهادة لعائلة عاشت تجربة النزوح مرتين، بما يتيح قراءة أكثر عمقًا لتنوع التجارب الإنسانية والاجتماعية المرتبطة بأحداث عام 1967م في قرية صفّا.

#### 1.4. الشهادة الأولى:

أفاد محمد يوسف درويش نصر، وهو من مواليد قرية صفّا عام 1951م، بأنه في يوم الإثنين الموافق 5 حزيران 1967، كان يراجع دروسه استعدادًا للامتحانات النهائية للصف الثالث الإعدادي (المترك) على طريق المحجر، بينما كان المزارعون يحصدون القمح والشعير في المنطقة الغربية. في حدود الساعة العشرة صباحًا، أعطى الجنود الأردنيون المتواجدون بمعسكر في منطقة خلّة إخليف، والمكون من عدة خيام، وكذلك الجنود الأردنيون المرابطون في نقطة مراقبة في خربة حوريّة، أوامرهم للمزارعين بضرورة العودة سريعًا إلى بيوتهم مُعلنين بدء الحرب مع إسرائيل.

وبعد نحو ساعتين، تجمع الشباب في ساحة المسجد، وأخذوا يستمعون إلى البيانات الصادرة عن الحكومات العربية، وخصوصًا المصرية والأردنية، عبر مذيع يملكه أحد سكان القرية. وقد وصف محمد نصر الحالة النفسية التي سادت المكان، والتي تجلّت فيها نشوة وقناعة بحتمية النصر. وعلى الرغم من هذه الحالة، فإن كثيرًا من العائلات قررت وبدأت بالنزوح إلى الجبال المزروعة بأشجار الزيتون الواقعة في الاتجاهين الشمالي والشرقي من القرية، وكذلك إلى قريتي كفر نعمة ودير إبزيع، مع بقاء عدد من العائلات في بيوتهم. وعزا النزوح إلى حالة الرعب التي ما زالت سائدة في الذاكرة الجمعية لسكان القرية، والتي خلّفتها العصابات الصهيونية إثر ارتكابها مجازر في العديد من القرى الفلسطينية عام 1948م.

وأضاف: "نزحت عائلتي بصحبة خمس عائلات تربطنا بها صداقة وقرابة، مشيًا على الأقدام عبر طريق نجارة الوعرة، وصعدنا الجبال وهبطنا الوديان حتى وصلنا إلى مغارة كبيرة في قرية كفر نعمة. وما زلت أذكر تلك المغارة التي لجأنا إليها؛ كانت واسعة، وتنمو عند مدخلها شجرة زيتون كبيرة، الأمر الذي وفر لنا شيئًا من الخصوصية في ظل حركة شبه دائمة لعائلات في طريق النزوح. أخذنا معنا ما نستطيع حمله من طعام، ووضع أبي بعضًا من الفراش على البغلة".

وتابع: "في اليوم الثالث للنزوح، وصل إلينا ربّ أسرة كانت معنا، والذي كان يعمل في مدينة الزرقاء الأردنية وعاد مشيًا على الأقدام إلى فلسطين لينضم إلى عائلته. سألناه عما رأى في طريق العودة، فأجاب: "تم احتلال أريحا ورام الله"، وكانت الإجابة كالصخر

على الصدر". وفي اليوم نفسه الذي انضم فيه ذلك الرجل إلى أسرته، تسلل أبي ركبًا بعلته إلى قرية صفًا ليأتي لنا بما نأكله، وعندما وصل بالقرب من البيت، خرج إليه جنود إسرائيليون رافعين عليه السلاح وأوقفوه، وسألوه عما يفعل، فأجاب: "هذا بيتي، وأولادي في الكروم، وجئت هنا حتى أخذ لهم ما يأكلونه"، فردّ عليه جندي إسرائيلي بلغة عربية: "مش ضروري، روح جيبهم على البيت، وأي واحد بتشوفة من سكان صفًا خليه يرّوح". فعاد أبي دون أن يأتي لنا بشيء، ومن شدة الخوف نقلنا إلى قرية كفر نعمة ونزلنا في بيت قيد الإنشاء.

وفي صبيحة اليوم التالي، بدأ الجيش الإسرائيلي ينادي عبر مكبرات الصوت في قرية كفر نعمة بما مفاده: "إلى سكان قرية كفر نعمة، عليكم بالتجمع حاليًا في المدرسة، وعلى سكان قرى بلعين وصفًا وبيت عور التحتا وبيت سيرًا العودة إلى بيوتهم؛ افتحوا الأبواب والشبابيك وارفخوا الراية البيضاء". غير أن عددًا من سكان صفًا شككوا في صحة هذا الخبر، خاصة بعد أن علموا بأن الجيش الإسرائيلي، في اليوم الثاني أو الثالث لاحتلال القرية، اقتحم المغفر الواقع في بيت جميل أبو أسعد فلنة، فصادر الأسلحة الموجودة بداخله، ثم قام بنفسه بالمتفجرات.

وبعد نحو ستة أيام من بداية النزوح، عُدنا كما عادت غالبية العائلات إلى بيوتها، وقد فُرض على السكان منع تجول يبدأ من الساعة السادسة مساءً حتى الساعة السابعة صباحًا. وفي 15 حزيران/يونيو 1967م، طوّق الجيش الإسرائيلي القرية من جميع الجهات، وبدأ ينادي عبر مكبرات الصوت: "على جميع الذكور من السكان التجمع في مدرسة الإناث، وعلى جميع الإناث التجمع في مدرسة الذكور، ويجب إبقاء الأبواب والشبابيك مفتوحة". ثم خاطب السكان قائلاً: "سنبدأ بتفتيش البيوت، ومن عنده سلاح يجب أن يُسلمه الآن وله الأمان، أما البيت الذي يُعثر فيه على أي نوع من السلاح فسوف يتم تفجيره فورًا". وفي هذه الأثناء، سلّمت بندقية واحدة من صناعة ألمانية.

وبعد الانتهاء من تفتيش البيوت، جرى فصل الذكور حسب الفئة العمرية، وسُمح للأطفال وكبار السن وجميع النساء بالعودة إلى بيوتهم. ثم جلس ضابط إسرائيلي في مكان، وبدأ أحد الجنود يرسل إليه الشباب واحدًا تلو الآخر؛ وكان الضابط يراقب طريقة مشية الشاب، فإذا لاحظ عليه أسلوبًا عسكريًا في المشي طلب منه الوقوف جانبًا. وفي نهاية المطاف، سُمح لمن لم تُثر حوله الشبهات بالعودة إلى بيته، وأما من وُجدت حوله شكوك فقد خوطب بما معناه: "نحن نعرف أن في الجيش العربي أردنيين وفلسطينيين، ولا بد أنكم جزء من هذا الجيش. لا نريد اعتقالكم، اذهبوا إلى بيوتكم وابتعدوا عن الجيش الأردني". ومن ذلك الوقت، ولمدة ثلاثة أشهر، اتخذ الجيش الإسرائيلي من مدرسة اتحاد صفًا مقرًا له، وخلال هذه الفترة جرى إحصاء السكان تمهيدًا لمنحهم الهويات.

وقد خدم عدد لا بأس به من سكان قرية صفًا في الجيش الأردني وجهاز الشرطة الأردنية. وكان ثلاثة منهم قد رافقوا الجيش الأردني إلى المملكة الأردنية، لكنهم استشهدوا في الطريق، وهم: أسعد نمر أبو أسعد فلنة، ومصطفى سعيد أبو أسعد فلنة، ومحمد مصطفى معالي. وبعد احتلال القرية بفترة قصيرة، هاجرت بعض الأسر إلى المملكة الأردنية، وخاصة الأسر التي كان أبناؤها يخدمون في الجيش الأردني؛ فمنهم من عاد لاحقًا إلى قريته، في حين بقي عدد كبير منهم في المملكة الأردنية حتى اليوم. أما عن طريقة نقل تلك العائلات الراغبة في الهجرة، فكانت تتم عبر دليل من القرية يتولى نقل الأفراد بمركبة إلى أريحا، ومن هناك يقطع بهم نهر الأردن سرًا من مسارب وعره، وعند وصولهم إلى إحدى القرى الأردنية، كان ينقلهم بمركبة إلى ذويهم مقابل خمسة دنائير عن الشخص الواحد.

#### 2.4. الشهادة الثانية:

أفاد إبراهيم عبد الفتاح سمارة ناصر، وهو من مواليد قرية صفًا عام 1960 وسكانها، بشهادة طفل لم تُهجر عائلته القرية قائلاً: كنتُ في الثامنة من عمري حين وقعت تلك الأحداث، ومع أن السنوات مضت، إلا أن تفاصيلها ما تزال حاضرة في ذاكرتي بوضوح

لافت، وكأنها وقعت بالأمس القريب. كنا نعيش في منزلنا الواقع في منطقة الغرس شمالي البلدة القديمة، وهو من البيوت القليلة التي كانت تقع بعيدة نسبيًا عن الجامع. وفي ذلك اليوم، كان والداي يعملان في حصاد القمح في خربة الدالية، وبينما كنا نحن الأطفال في البيت، وصلتنا، نحو الساعة العاشرة صباحًا، دعوة تحمل لهجة الأمر والرجاء من نزيهة اليهودية للرحيل معها. استجبنا على الفور وتوجهنا نحوها، لكننا ما إن بلغنا منطقة هفتة بلّح حتى التقينا بوالدتي عائدة من الحصيد، فأعادتنا معها إلى المنزل، وبدأت بجمع بعض المؤن والاحتياجات الأساسية استعدادًا للمغادرة.

وتابع: بعد نحو نصف ساعة، عاد والدي إلى المنزل، وعلم بنية والدتي الرحيل مع أهلها، فدار بينهما نقاش عكس تباينًا واضحًا بين خيار البقاء وخيار الهجرة. وانتهى هذا النقاش بقول والدي ما معناه: إن الحياة والموت بيد الله، وإنه لا يمنعها من الذهاب مع أهلها، بل سيقوم بإيصالها إليهم إن رغبت، أما هو والأبناء فسيبقون في الدار. أذكر أن والدتي جلست على عتبة المنزل تبكي، ثم ما لبثت أن عدلت عن قرارها حبًا فينا وفي زوجها، وقد تجلّى ذلك حين أعادت ما كانت قد جمعتها من مواد غذائية إلى أماكنها، في مؤشر واضح على اختيار البقاء. كان ذلك اليوم استثنائيًا بكل المقاييس؛ فقد سادت القرية حالة من الاستنفار العام، والناس يغادرون حاملين ما خفت وزنه وغلا ثمنه، وأبناءهم، وإلى الأمام منهم مواشيهم، متجهين نحو مصير مجهول. وخلال ساعات قليلة، ما بين الظهرية والمساء، كانت الغالبية العظمى من السكان قد هجرت بالفعل. وفي اليوم التالي، ذهبْتُ مع أخي بيوض إلى منزلنا القديم في مركز القرية لإطعام الأبقار والدواجن وسقيها، فوجدنا القرية شبه خالية، ولم نرى فيها سوى عدد محدود من كبار السن وبعض الحيوانات.

وتابع شهادته قائلاً: في اليوم الثالث، كنتُ مع أخي بيوض نلعب على نوادر أبو عزيّة بالقرب من بيتنا، حيث تراكمت أكوام القمح والشعير بانتظار الدراس في غياب أصحابها، فبدت لنا فرصة للعب. وخلال ذلك، مرّ بنا جنود وسألونا عما نعمل وعن موقع منزلنا، فأشرنا إليهم بأنه قريب من هنا، عندها طلبوا منا العودة إليه، ثم أعطونا بعض الحلوى. أخذناها وعدنا إلى البيت، وعندما سألنا والدنا عن مصدرها وأخبرناه أنها من "الجيش"، أدرك فورًا أنهم من الجيش الإسرائيلي، "وضرب كفاً بكف". أما أنا، فكنت أظن أنهم من الجيش العربي لأنهم تحدثوا معنا باللغة العربية، إضافة إلى أن الصورة النمطية المرسومة في أذهاننا عن اليهود لم تكن تتطابق مع ما رأيناه، كنا نتخيل أنهم لا يشبهوننا في الشكل والصفات الجسدية. وفي اليوم الرابع، سمعنا أصوات طرق عنيف على أبواب منازل مهجورة في البلدة القديمة، فاعتقدت أمني بدايةً لوصولًا يحاولون اقتحام البيوت المهجورة لتهبها فنادت عليهم بأعلى صوتها. وبعد أقل من نصف ساعة كان الجيش الإسرائيلي في بيتنا، بعدما حدد مصدر الصوت، وسألوا أبي: لماذا لم تنزح؟ فرد عليهم: "أنتم أخذتم رام الله وأريحا، فلماذا وأين أرحل؟"، وكانت إجابة الجندي الإسرائيلي: "أنت عاقل يا ختير".

وبعد نحو أسبوع من موجة الهجرة، عاد معظم سكان القرية إلى بيوتهم، حيث طلب منهم الجيش الإسرائيلي التجمع في المدرسة لفترة معينة، قبل أن يُسمح لهم بالعودة إلى منازلهم. وفي مرحلة لاحقة، بدأت فرق من الجيش الإسرائيلي، تتحدث اللغة العربية، بالتنقل بين البيوت لإجراء عملية إحصاء سكاني، أفضت إلى إصدار بطاقات هوية للبالغين.

### 3.4. الشهادة الثالثة:

وأفاد عدنان رجب محمد ناصر، وهو من مواليد قرية صفّا عام 1947م، بشهادة عانلة نزحت مرتين خلال حرب عام 1967م قائلاً: في اليوم الأول من الحرب، كان سكان القرية في حقولهم الواقعة في الجهة الغربية يحصدون القمح والشعير. عادوا إلى بيوتهم مبكرًا وهم في حالة من الفزع بعدما عرفوا من الجنود الأردنيين أن الحرب قد بدأت. وكانت القرية في ذلك الوقت صغيرة ومحدودة المساحة وعدد السكان. ومع حلول الظهرية، كان الشارع الرئيس في القرية يغص بالناس وحيواناتهم في حركة عشوائية، قاصدين الجبال والقرى الشمالية الشرقية، مثل: كفر نعمة، ودير إبريغ، وعين عريك. في ذلك الوقت، كُنّا نعيش مع أقاربنا في حوش دار ناصر (للمزيد عن حوش دار ناصر انظر اليهودية 2006)، وقرر أبائنا النزوح إلى وعره بئر المسما الواقعة في الجهة الشرقية من القرية.

لجاناً إلى مغارة كبيرة، وقضينا الليلة الأولى فيها، إلا أن كبارنا قرروا العودة إلى الحوش في ظهيرة اليوم التالي. وبعد العصر، فُتح الباب الخشبي للحوش بالقوة، ودخل إليه 25 جندياً إسرائيلياً، وكل هذا وأنا جالس أمام عليّة شكري خليل ناصر. جمعونا في ساحة الحوش، وأيدينا فوق رؤوسنا، ودخل المجندون والمجنّدات إلى البيوت لتفتيشها، واستغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً. وأذكر خلال جمعنا في الحوش ثلاثة أمور: الخوف الذي سيطر على الأطفال والنساء، وبعض المجنّدات الإسرائيليات وهن يوزعن "حلو ملبس" على الأطفال، والضابط الذي وضع خريط على "خرزة" بئر الحوش وأشار بإصبعه على بقعة فيها قائلاً: "هنا يوجد سلاح". غادر الجيش الإسرائيلي الحوش، وبعد فترة قصيرة سمعنا صوت انفجار ضخم بالقرب منّا، وعرفنا لاحقاً بأنهم فجّروا مغفر الجيش الأردني الموجود في بيت جميل أبو أسعد فلنة، والذي يبعد نحو 50 متراً إلى الشرق من الحوش.

قضينا تلك الليلة في الحوش مرعوبين، وفي صبيحة اليوم التالي رحلنا إلى منطقة التين الشرقي، وأخذنا معنا ما استطعنا حمله من مواد غذائية وفراش للنوم. وكان في تلك المنطقة عدد كبير من العائلات؛ بعضها احتُمى بالمغاور، في حين أقامت الغالبية تحت أشجار الزيتون. وهناك، لاحظتُ أن عدداً كبيراً من الشابات اليافعات كنّ يرتدين ملابس بالية، وعلى وجوههن آثار من الطين وسواد الفحم. ولاحقاً أدركتُ أن هذا الأمر كان مقصوداً من عائلتهن لإظهارهن بمنظر غير لائق، تجنباً لتعرضهن للاعتداء (اغتصابهن) من قبل الجيش الإسرائيلي. وفي اليوم الثاني لوجودنا تحت أشجار الزيتون في منطقة التين الشرقي، تسللتُ إلى البلد لإحضار بعض المواد الغذائية من بيتنا، وصادفتُ في الطريق عدداً من الرجال في الاتجاهين، من القرية وإليها.

أما عن العودة إلى القرية وما تلاها، فقد تشابهت شهادة عدنان ناصر مع شهادة محمد يوسف درويش نصر الواردة أعلاه، ومع شهادات العديد من المبحوثين، مع اختلاف بعض التفاصيل. غير أن عدنان ناصر أضاف أن شقيقه شعبان ناصر، الذي كان يخدم في الجيش الأردني في مدينة القدس، قد أصيب بالرصاص ووقع في الأسر على يد الجيش الإسرائيلي لمدة ستة أشهر، قبل أن يُفرج عنه إلى المملكة الأردنية، حيث اعتُقل هناك لمدة ستة أشهر أخرى. وبعد معركة الكرامة، انضم شعبان إلى قوات اليرموك وهاجر إلى سوريا، وعمل في منظمة التحرير الفلسطينية حتى استشهاده عام 1976م في منطقة العرقوب في جنوب لبنان.

كما ذكر عدنان ناصر أن عدداً لا بأس به من سكان صفّاء، قبل الحرب وخلالها، كانوا يخدمون في الجيش الأردني، وأن بعضهم انسحب مع الجيش الأردني إلى شرق النهر بعد احتلال الضفة الغربية، في حين لحق بهم آخرون بعد أيام أو أسابيع. وخلال فترة انسحاب الجيش الأردني، وقعت فاجعة لسكان صفّاء باستشهاد ثلاثة من أبنائها، هم: أسعد نمر أبو أسعد فلنة، ومصطفى سعيد أبو أسعد فلنة، ومحمد مصطفى معالي.

وقدّم إبراهيم نمر أبو أسعد فلنة، وهو من مواليد قرية صفّاء عام 1945م، شهادة مفصلة حول مكان إصابة أو استشهاد أسعد مصطفى أبو أسعد فلنة، جاء فيها أنه كان جندياً في الجيش الأردني، وخدم في قرى القدس. وبعد احتلال القدس مباشرة، وفي ظل ظروف نفسية صعبة وعدم توفر وسيلة نقل تقله مع آخرين من الجنود إلى أريحا، تمكن من الوصول إلى البحر الميت مشياً على الأقدام، ومنه إلى أريحا. وكان يرتدي الزي العسكري ويحمل بندقية وأربعين رصاصة. وبالقرب من نهر الأردن، وجد دبابة أردنية نقلته إلى بلدة الشونة الجنوبية، ومنها انتقل في اليوم الثاني إلى عمّان.

وأضاف أنه بدأ هناك بالبحث عن أخيه وابن عمه، دون أن يسمع عنهما شيئاً، قبل أن يعلم لاحقاً بأن مصابي الحرب يُعالجون في مستشفى ماركا العسكري. وعلى الرغم من الاكتظاظ في محيط المستشفى ودخله، تمكن من الدخول وبدأ بالبحث عنهما في "الهناكر". وعندما قرأ على باب أحدها اسم مصطفى ورقمه العسكري، فنادى عليه، وجاء الجواب: "أنا هنا". ووصف إبراهيم فلنة المشهد والحديث الذي دار بينهما بقوله: "وجدته محروفاً، ومقطع الكف اليمنى، لكن معنوياته كانت عالية. سألته عما جرى، وما إذا كان قد رأى أسعد، فأجاب: كُنا في رتل عسكري في بلدة الشونة الشمالية، وقام الطيران العسكري الإسرائيلي بقصفنا بالنابال. وقد سمعت أسعد

يقول، قبل القصف مباشرة: انزلوا من السيارات وإلا ستحترقون، ومنذ ذلك الوقت لم أرى أسعد ولم أسمع عنه شيئاً. وقد توفي مصطفى فلنة بتاريخ 22 تموز 1967، ودُفن جثمانه في أم الحيران.

وتُظهر شهادات المبحوثين من قرية صفًا درجة عالية من التطابق في مضامينها وأحداثها، مع اختلافات طفيفة تقتصر على تفاصيل مواقع النزوح، ومستوى المعاناة الفردية، وآليات تأمين الغذاء. وتشير المعطيات إلى أن جميع العائلات المهجرة اتجهت نحو الشمال الشرقي، حيث المناطق الجبلية المزروعة بأشجار الزيتون والتين والتي تضم عدداً من الكهوف، قبل أن تتابع نزوحها إلى قرية دير إبزيع وكفر نعمة وعين قينيا المجاورة. حيث ذكر خليل إبراهيم مطر منصور (مواليد 1945م) أن عائلته نزحت في اليوم الأول من حرب حزيران/يوليو 1967م بصحبة ثلاث عائلات إلى منطقة التين الشرقي/ أبو الصوي، حيث قضا فيها ليلية واحدة، ثم انتقلت إحدى العائلات إلى قرية عين قينيا، في حين نزحت العائلتان الأخريان إلى بيوت أقارب لهم في قرية دير إبزيع.

كما أفاد عطية العبد جبر ناصر (مواليد 1956م) بأن عائلته نزحت في اليوم الأول من الحرب برفقة أربع عائلات إلى منطقة التين الشرقي، حيث أمضوا ليلة واحدة، ثم انتقلوا إلى عين بوبين في قرية دير إبزيع، ومكثوا في محيطها مع عدد من العائلات لمدة ثلاثة أيام، قبل أن ينتقلوا إلى حوش نصر الله قراجا (الدار الكبيرة) في البلدة القديمة لقرية دير إبزيع، حيث أقاموا يومين قبل عودتهم إلى صفًا. وأفاد جمال رضوان علي شحادة (مواليد 1956م) بأن عائلته نزحت في اليوم الثاني للحرب برفقة ثلاث عائلات، ولجأت إلى مغارة في كرم شقاف عابد الواقع بين صفًا وكفر نعمة، ثم انتقلت في اليوم التالي إلى قرية كفر نعمة، حيث أقامت أربعة أيام في منزل صديق للعائلة. وروى طلعت عبد العزيز حسن نصر (مواليد 1954م) أن عائلته هجرت يوم اندلاع الحرب مع خمس عائلات إلى كروم أبو صوي، حيث احتموا بمغارة كبيرة في منطقة مزروعة بأشجار الزيتون والتين؛ فنامت النساء والأطفال داخل المغارة، بينما قضى الرجال ليلتهم تحت الأشجار. وفي اليوم التالي، انتقلوا إلى حوش نصر الله قراجا، وأقاموا فيه مدة خمسة أيام.

أفاد المبحوثون الذين هجروا القرية بأن نزوحهم تم سيرًا على الأقدام عبر مسالك ضيقة ووعرة، في ظل ظروف جوية قاسية وهيمنة حالة من الفرع وعدم اليقين. وتروي صفية العبد جبر ناصر (مواليد 1946م) أنها كانت يوم النزوح حاملاً في شهرها السابع، وتحمل على ذراعها طفلاً في الثالثة من عمره. وعند وصولها إلى نهاية طريق "نجارة" أصابها الإعياء الشديد، وتفاقم خوفها بفعل أصوات الرصاص مجهولة المصدر، فتأخرت عن المجموعة. وأثناء ذلك، سمعت من يناديها باسمها طالباً منها ترك طفلها والإسراع للحاق بعائلتها؛ فانهارت قواها وانهالت دموعها، قبل أن يعود أحد إخوتها حاملاً بعض المواد التموينية، فحمل الطفل على كتفيه وسارا معاً حتى التحقا بالعائلة.

كما أفاد جمال رضوان علي شحادة بأن امرأتين من العائلة توجهتا إلى بئر قرب منطقة شقاف عابد لجلب الماء، وأثناء عودتهما تعرضتا لقصف من طائرة إسرائيلية، فاحتمتا خلف الصخور دون أن تُصابا بأذى جسدي، رغم ما أصابهما من خوف شديد. وروى رياض محمد ذيب ناصر (مواليد 1959م) أنه خلال وجودهم في منطقة التين الشرقي، أشعلت جدته الحطب لإعداد الطعام، إلا أنهم سرعان ما تعرضوا لإطلاق نار كثيف، فلبأوا إلى مغارة قريبة، ثم انتقلوا تحت جناح الظلام، إلى قرية دير إبزيع.

## 5. الخاتمة

على الرغم من أن هوميروس لم يكن معاصرًا لحرب طروادة، فإنه دون جانبًا من أحداثها ووقائعها في قالبين شعريين أصبحا من أبرز الأعمال الأدبية في التراث الإنساني، وهما الإلياذة والأوديسة، مستندًا في ذلك إلى المرويات التي تناقلتها الأجيال شفهيًا عبر الرواة (هوميروس، 2012: 20-51). وقد حظيت هاتان الملحمتان باهتمام واسع من المؤرخين وعلماء الآثار والأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع، الذين تعاملوا معهما بوصفهما مصدرين أساسيين لفهم الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية المرتبطة بحرب طروادة، رغم ما يكتنفهما من أبعاد أسطورية.

وعلى خطى هوميروس، يؤكد عدد من الباحثين أهمية توظيف الرواية الشفوية في كتابة التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر، سواء بوصفها مصدرًا أصيلاً أو مكملاً للمصادر المكتوبة، خاصة في ظل محدودية الوثائق المتعلقة بالتجارب المحلية والجماعية للفلسطينيين، مع ضرورة إخضاع الرواية الشفوية لمعايير البحث العلمي، من خلال الالتزام بمنهجية دقيقة في إجراء المقابلات الشخصية، ومقارنة الروايات المختلفة وتحليلها نقدياً للتحقق من درجة موثوقيتها، فضلاً عن عرض نتائجها بصورة موضوعية تراعي السياقات التاريخية والاجتماعية التي أنتجت فيها.

وتفيد روايات المستجيبين في هذه الدراسة، إلى جانب بعض الكتابات المتوفرة، بأن قرية صفًا شهدت خلال الفترة الممتدة بين عامي 1948م و1976م سلسلة من الأحداث والوقائع ذات الدلالة التاريخية والاجتماعية، كان من أبرزها وقوع معركة عُرفت محلياً باسم "معركة كُريسة"، دارت بين الجيش الأردني والمتطوعين الفلسطينيين من قرية صفًا والقرى المجاورة من جهة، وسرية تابعة لكتيبة "يفتاح" من جهة أخرى، وقد أسفرت عن خسائر وُصفت بأنها كانت مؤثرة في صفوف القوة المهاجمة.

وفي سياق التصعيدات والعنف والمذابح الذي شهدته عدة مدن وقرى فلسطينية خلال تلك المرحلة، تشير الروايات إلى أن غالبية سكان صفًا اضطروا إلى مغادرة منازلهم وممتلكاتهم فُيبل المعركة أو بالتزامن معها، بحثاً عن الحماية والأمان. وبعد عودة السكان إلى القرية، برزت استجابات محلية تمثلت في تطوير منظومة دفاعية تقليدية اعتمدت على حفر خنادق تحيط بالمساحة المأهولة بالسكان، وتدعيمها باستحكامات بسيطة وقرت الحد الأدنى من الحماية للحراس خلال فترات الحراسة الليلية.

وعلى الرغم من هذه الإجراءات، تشير الشهادات إلى وقوع حادثة أودت بحياة ثلاثة من سكان القرية، الأمر الذي ترتب عليه نزوح عدد من العائلات لقريتهم لفترة مؤقتة قبل أن تعود لاحقاً. وفي منعطف تاريخي آخر، تعرضت قرية صفًا للاحتلال في الخامس من حزيران/يونيو 1967م، على غرار ما حدث في عدد من مدن وقرى وبلدات ومخيمات الضفة الغربية، وهو ما دفع غالبية السكان إلى مغادرة منازلهم لمدة قاربت الأسبوع، قبل أن يعودوا تدريجياً إلى القرية بعد انحسار العمليات العسكرية واستقرار الوضع الميداني نسبياً.

## 6. التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

1. إجراء دراسات مماثلة في القرى الفلسطينية الأخرى بهدف توثيق التاريخ المحلي ومقارنة التحولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمعات الريفية الفلسطينية خلال مرحلتَي النكبة والنكسة.
2. دمج التاريخ الشفوي والذاكرة الشعبية في الدراسات التاريخية الفلسطينية بوصفها مصدرين أساسيين لفهم التجارب المجتمعية التي لم توثقها المصادر الرسمية.
3. إطلاق مشاريع توثيق مجتمعي تشاركي يساهم فيها أبناء المدن والبلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية في تسجيل ذكرياتهم وتجاربهم المرتبطة بأحداث التاريخ المعاصر.
4. تشجيع المؤسسات الرسمية والثقافية والأكاديمية المعنية للقيام بإنشاء قواعد بيانات للتاريخ المحلي الفلسطيني تضم الروايات الشفوية والوثائق التاريخية الخاصة بالتجمعات السكانية الفلسطينية.
5. توظيف نتائج هذه الدراسة في الأنشطة التعليمية والثقافية المحلية، وذلك لتعزيز معرفة الأجيال الشابة بتاريخ قريتهم وهويتهم المجتمعية.

## 7. شكر وتقدير:

يتقدم الباحثون بخالص الشكر والتقدير لأفراد عينة الدراسة من سكان قرية صفًا، على تعاونهم ومساهماتهم القيمة في إنجاح هذا البحث، من خلال ما قدّموه من معلومات وشروحات دقيقة، وما أبدوه من رحابة صدر في الإجابة عن الأسئلة المطروحة. كما يُعبر

الباحثون عن امتنانهم العميق للأستاذ عبد الله ناصر مُسلم على جهوده المتميزة في المراجعة اللغوية. والشكر موصول للدكتور وليد سالم على ملاحظاته العلمية البناءة التي أسهمت في إثراء هذا العمل البحثي. كما يتقدم الباحثون بالشكر الجزيل لمُقيمي هذا البحث على الملاحظات التي قدموها، والتي أثرت البحث.

## 8. المصادر والمراجع:

### 1.8. المصادر والمراجع العربية:

- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2001). المقدمة. مراجعة: سهيل زكارا. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر.
- أبو حجر، أمانة. (2003). موسوعة المدن والقرى الفلسطينية. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- أبو شبكية، عدنان. (2010). لغة الرواية في التاريخ الشفوي الفلسطيني بين العامية والفصحى. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، (21)، 381-345.
- أبو غوش، يعقوب. (2004). من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة (رقم 15): قرية عمواس. إشراف صالح عبد الجواد. الطبعة الثانية. بير زيت: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني.
- جزّار، حسني. (2008). نكبة فلسطين عام 1947-1948 "مؤامرات وتضحيات". عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (1999). التعداد العام للسكان والمنشآت - 1997: النتائج النهائية، تقرير السكان - محافظة رام الله والبيرة. الجزء الأول. رام الله: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.
- الخالدي، وليد. (1998). كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الدباغ، مصطفى. (1988). بلادنا فلسطين. الجزء الثاني، الطبعة الرابعة. بيروت: دار الطليعة.
- رايين، اسحق. (2015). منكرات اسحق رايين/ القسم الأول. ترجمة: دار الجليل. عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.
- الزعيبي، أحمد. (2021). الجيش العربي: مسيرة عز وفخار. عمان: وزارة الثقافة.
- العارف، عارف. (1956). سجل الخلود: أسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين 1947-1952. الجزء السادس. كفر قرع: دار الهدى.
- عبد الجواد، صالح. (2005). لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام التاريخ الشفوي؟ حرب 1948 كحالة دراسية. مجلة الدراسات الفلسطينية، 16 (64)، 68-42.
- عوفر، زئيف وتهيلا. (2008). الكتيبة الأولى. (عبري).
- فيلم وثائقي (2012). طريق النجاة إلى كريسنة.
- تاريخ <https://www.facebook.com/watch/?v=1307051650847089&rdid=UjvZpGVst9DHymJP>.
- الوصول 2026/3/13.
- محمد، رضا. (2022). تطور دعم الولايات المتحدة لإسرائيل خلال عدوان عام 1967 "حادثة السفينة الأمريكية ليبرتي نموذجًا". مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، 29 (1)، 804-733.

- نمر، سونيا. (2007). رؤية نقدية لعملية التأريخ الشفوي في الحالة الفلسطينية. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 18 (71): نمر، محمود. (2001). *قرية شلتا: إحدى القرى الفلسطينية المدمرة عام 1948*. رام الله.
- الهودلية، صلاح. (2003). نسب عشيرة الأمير محمد قراجا في قرية صفّا. رام الله: المجد للدعاية والإعلان.
- الهودلية، صلاح. (2006). نظام الحوش في قرية صفّا خلال الفترة العثمانية المتأخرة. *مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)*، 20 (3)، 696-665.
- هوميروس. (2012). *الإلياذة*. ترجمة: سليمان البستاني. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- يزبك، هبة. (2016). *المهجرون الفلسطينيون في الداخل: الاقتلاع من المكان والبقاء في الوطن*. برنامج دراسات إسرائيل – ملفات مدى، *قراءات في مسألة المهجرين – ملف رقم 8*. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.
- 2.8. المصادر والمراجع الأجنبية:**

Al-Houdalieh, Salah. (2006). Demolishing Palestinian Archaeological Heritage: Saffa Village as a Model. *Near Eastern Archaeology*, vol. 69 (2), 102-112.

Mohammad, Kardo and Bali, Ahmed. (2017). The six-day war and its impact on Arab and Israeli conflict. *History research*, 7 (2), 90-101.

Morris, Benny. (2008). *1948: The first Arab-Israeli war*. New Haven and London: Yale University Press.

جميع الحقوق محفوظة © 2026، الأستاذ الدكتور/ صلاح حسين الهودلية، الباحث/ محمد حسين ناصر، الباحث/ محمد إبراهيم ناصر، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي (CC BY NC)

**Doi:** <https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v8.87.2>